لائحة القومي العربي

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــــدد 96

01 كانون أول 2024

نحو مشروع للنّهوض القومي

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

محتويات العدد 96 من مجلة طلقة تنوير:

- معركتا غزة ولبنان من وجهة نظر قومية، ومهماتنا / إبراهيم علوش.....2
- عروبة الإسلام وإسلام العروبة – الجزء الأول / محمد خالد عمر.....7
- قراءة في خلفيات أحداث أمستردام في الـ 7 من نوفمبر/ تشرين الثاني 2024/ إبراهيم حرشاوي.14
- بمناسبة مقتل "الباحث" زئيف إيرليخ في قرية شمع اللبنانية: حرب التدمير والتزوير/ فارس سعادة.....19
- طوفان الأقصى كنقطة انطلاق لتحرر عربي شامل / ميشيل شحادة 23
- مراجعة كتاب "طوفان الأقصى: قراءة في مشروعيته وسياقه وآثاره" / مريم نصرالله.....28
- كلمات يمنية عامية مقارنة بأخرى بربرية / سعيد بن عبدالله الدارودي.....35
- من التراث القومي: المقاومة من وجهة نظر قومية (مقتطفات) / عصمت سيف الدولة.....41
- الصفحة الثقافية: "سباق المسافات الطويلة" لعبد الرحمن منيف / طالب جميل.....46
- قصيدة العدد: الطارق المنذور/ ناجي علوش.....48
- رسوم العدد: اسمه يحيى.....55

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

معركتا غزة ولبنان من وجهة نظر قومية، ومهماتنا

إبراهيم علوش

لعل الإنجاز المبهر الذي صنعته المقاومة في غزة في "طوفان الأقصى" في 2023/10/7، بما مثله من اختراق مبدع لغلاف غزة المحتل عام 1948، ومن هزيمة نكراء لفرقة غزة كاملة، قد حمّلها من أحلامنا وطموحاتنا في تحرير فلسطين ما لا تحتملها ظروفها وإمكاناتها المحدودة في قطاع غزة المحاصر.

ولعل أداء حزب الله المتميز قبل تحرير الشريط الحدودي اللبناني في 2000/5/25، وإبان حرب تموز سنة 2006، وفي مواجهة العدوان الكوني على سورية، من القصير عام 2013 إلى سراقب سنة 2020، واتساع دوره الإقليمي في دعم جبهات المقاومة من غزة إلى العراق وأبعد، والمصداقية الهائلة التي راكمها الحزب من جراء ذلك، ميدانياً وسياسياً، والكاريزما الفتانة للسيد حسن نصرالله، وحديثه الدائم عما أعده الحزب لمواجهة العدو الصهيوني، قد حمّل حزب الله أيضاً من أحلامنا وطموحاتنا في تحرير فلسطين ودحر الهيمنة الغربية عن المنطقة ما لا تحتمله ظروفه، وهو المحاصر فعلياً في جزء لبنان المتشظي سياسياً وطائفياً وحزبياً.

ليكن واضحاً أن أحلامنا وطموحاتنا مشروعة وممكنة التحقيق، وأن الجياد التي راهنّا عليها لم تقصّر أبداً، بل أبلت بلاءً حسناً، وما برحت تعدو سريعاً في الصفوف الأولى في الميدان، وهل لنا غير المقاومة كي نراهن عليها؟ ليس لنا إلا تلك الفرس، وليس لنا إلا فارسها، كائناً من يكون، وإنَّ أضعف الإيمان أن نقف معه، منتصراً ومهزوماً.

لكننا نريده منتصراً، لأن معركته هي معركة الأمة العربية أولاً، ولا نقول معركة الأمة العربية فقط. ومن هذه الحيثية بالذات، قومية المعركة، بمعنى أن الصراع ضد الحركة الصهيونية العالمية والهيمنة الغربية، كما يتجلى في فلسطين منذ بدأ احتلالها في نهاية القرن الـ 19، هو صراع الأمة العربية أساساً، نلتقط الحلقة المفقودة الأهم التي يمثل التقاطها شرطاً ضرورياً، وإن كان غير كافٍ، للانتصار في تلك المعركة، وهو الشرط الذي لما يتحقق بعد.

تتمثل تلك الحلقة في أن خوض معركة أمة، أي معركة قومية، بأدوات قُطرية (نسبةً إلى قُطر عربي واحد)، ويستخدم البعض تعبير "إقليمية" بدلاً من "قُطرية"، وأرى أن تعبير "إقليم" يحتمل تعدد الأقطار (الجزيرة العربية مثلاً، أو بلاد الشام)، أقول إن خوض معركة قومية بأدوات قُطرية، وبموارد قُطرية محدودة، وخصوصاً في أقطار عربية غير مركزية، في مواجهة تكتل عملاق تحتشد فيه موارد الغرب الجماعي والحركة الصهيونية العالمية، ربما يكفي لتحقيق شروط المقاومة والصمود في هذا القُطر العربي أو ذاك، لكنْ يصعب بشدة أن يحقق شروط حسم المعركة نهائياً وتحرير فلسطين ودحر الهيمنة الغربية في المنطقة.

لا بد من الإشارة، قبل المضي قدماً في تناول مسألة "قومية المعركة"، إلى الآتي:

أ – أن الحديث عن قومية المعركة لا يستثني العالم الإسلامي أو الجنوب العالمي اللذين يعانيان من وطأة الهيمنة الغربية ومن الحركة الصهيونية العالمية أيضاً. وما من شكٍ في أن قضية فلسطين ليست قضية أحرار العرب فحسب، بل هي قضية أحرار المسلمين والعالم، وأن كل من يشارك في معركة فلسطين هو أخونا وأختنا، ورفيقنا ورفيقتنا، وأن من يجرؤ على ركوب تلك الفرس، فرس المقاومة، في مواجهة الطرف الأمريكي-الصهيوني، هو فارسنا وبطلنا، بغض النظر عن هويته القومية أو العرقية أو الدينية.

لكنْ، في السياق العنيف للجغرافيا السياسية للصراع مع الكيان الصهيوني هنا والآن، أي في سياق تحميل مسؤوليته للأقربين أولاً، والمستهدفين منه قبل غيرهم، أي للعرب، كما يجدر، تمثل المطالبة في نقل عبء المعركة، استراتيجياً، إلى كاهل مسلمي نيجيريا أو تيمور الشرقية، أو إلى أحرار العالم، مع بالغ الحب والتقدير لهم جميعاً، بدلاً من العرب، أولياء الدم، تهرباً من المسؤولية وتولياً يوم الزحف. فلنقم بما يتوجب علينا القيام به إذاً، لأن تلك هي الأولوية الأولى، ولندعو بعدها إلى تشكيل ألوية إسلامية وأممية تشارك في القتال، وأولويتنا النضالية هي القتال طبعاً، لا "مناشدة المحافل الدولية".

ب - أن الحديث عن تحقيق شروط قومية المعركة، كي نهزم الاحتلال والهيمنة في بلادنا هزيمةً نهائيةً حاسمةً، لا يجوز، بأي حالٍ من الأحوال، أن يتحول إلى دعوة إلى تأجيل المقاومة ريثما تتحقق شروط قومية المعركة، أو ريثما نبني الأقطار العربية، في كلِ قطرٍ على حدة، اقتصادياً وعسكرياً، تلك الدعوة المشبوهة التي كثيراً ما تشطح باتجاه تبرير التطبيع، ومعاهدات التسوية والاستسلام مع العدو الصهيوني، بذريعة "بناء القُطر أولاً".

إن مثل ذلك "الوعي" القُطري، في كل قُطر عربي من دون استثناء، هو "وعي" قاصر، علمياً وتاريخياً وسياسياً، لأن منظومة التجزئة القُطرية رُكِّبَت بطريقة تجعل النهوض قُطرياً من قبيل المستحيل، فلا "الدولة" ولا "الاقتصاد" يمكن أن ينهضا في القواقع القُطرية، كما أثبتت تجربة العقود، ولا مشروع "وطنياً ديموقراطياً" في كل قُطر عربي على حدة، ولا نهوض عربياً من دون مشروع قومي عابر لحدود التجزئة، وكلها قضايا سبق تناولها على صفحات "طلقة تنوير".

ما يهم هنا، في سياق الحديث عن غزة ولبنان، هو إبراز التناقض الجوهري بين مشاريع "بناء القُطر" وقومية المعركة، أي بين أصحاب النزعة القُطرية وبين المقاومة في المحصلة، على الرغم من أن المشروع الأمريكي-الصهيوني المعلن للمنطقة،

المشروع "الشرق أوسطي"، يقتضي تفكيكها، ومحو هويتها، وتحويلها إلى أجرامٍ تدور في فلك القطب "الإسرائيلي". فإن شاء أصحاب الدعوة القُطرية أن يغرسوا رؤوسهم إلى الأعناق في الرمال، فإن ذلك سيسهل فقط، على جزاري الجغرافيا السياسية الصهاينة والغربيين، نحر تلك الأعناق، التي نحرت أصلاً يوم نحر الثور الأبيض.

في جميع الأحوال، ما لا يُدرَك كله، لا يترك جله، وإذا كنا لم نحقق شروط حسم المعركة الآن، فإن ذلك لا يعفينا من ممارسة المقاومة، لإشغال العدو، ووقف تقدمه، ورفع كلفة عدوانه، في حروب مواقع، عسكرياً وثقافياً وإعلامياً وسياسياً، وعلى مدى أجيال، كما أنه لا يعفينا من دعم كل نقطة مقاومة ضد الاحتلال، حيثما وجدت، فيما يستمر العمل حثيثاً على تحقيق شروط الانتصار الشامل.

وبعد التأكيد على عروبة المعركة أولاً، من منظور شرعي (كونهم الأقربين)، ومن منظور قومي (كونهم المستهدفين)، وبعد التأكيد على واجب دعم المقاومة، من دون انتظار "بناء الدولة أو... الإنسان"، نعود إلى معركتي غزة ولبنان من منظور قومي.

والخلاصة في حالتي غزة ولبنان أن كليهما وجد نفسه تحت المفرمة الصهيو-أمريكية في معركة يفترض أنها قومية. ولم تكن تلك المرة الأولى التي نعايش تجارب من هذا القبيل في تاريخنا الحديث أو المعاصر، إذ إن معركة العراق في مواجهة العدوان والغزو، ومعركة ليبيا من بعده، ومعركة سورية، ومن قبلها جميعاً معركة فلسطين، ومعركة تفكيك السودان، ومعارك الحصار والعقوبات، إلخ... كانت كلها معارك قومية حاولنا التصدي لها بأدوات قُطرية تبقى بطبيعتها قاصرة عن حسم المعركة مهما قاومت واستبسلت، وتبقى المقاومة، على الرغم من ذلك، أشرف وأجدى من الاستسلام.

كان يفترض أن تُفتح كل الجبهات، على كل المستويات، في كل معركة من تلك المعارك، حتى يتوزع عبء القتال والتضحية على الوطن العربي الكبير، ومن ثم العالم الإسلامي وأبعد، وحتى لا يتمكن الطرف الأمريكي-الصهيوني من الاستفراد بكل قُطر عربي على حدة، وحتى نخوضَ كلاً من تلك المعارك مسلحين بميزان قوى أفضل. وكان يفترض، في كل معركة من تلك المعارك، أن تميد الأرض تحت أقدام المعتدين وكل من يدعمهم، لا أن نخوضها بجزءٍ صغيرٍ فحسب من قدراتنا عربياً وإسلامياً وأممياً.

في حالة غزة، دخلت المقاومة في لبنان واليمن والعراق المعركة، وبقيت سورية حاضنة. ولا ننسى دور إيران طبعاً، ولنا إلى هذه النقطة عودة. وعندما أصبحت الجبهة الرئيسة هي جبهة لبنان، وجد حزب الله نفسه يواجه صهاينة الداخل اللبناني، لا العدو الصهيوني فحسب، ووجد نفسه يواجه حصاراً سياسياً، بدأ تشييده عربياً منذ انتصاره في حرب تموز سنة 2006، عماده الخطاب السام بشقيه، الشق الطائفي، وذاك المتدثر زوراً بالقومية العربية في مواجهة إيران و"أدواتها".

لا يمكن للقومي العربي الحق، أولاً، أن يطبّع العلاقات مع الاحتلال الصهيوني وأن يخنع للهيمنة الغربية، ناهيك عن الدخول في أحلاف معهما، عسكرياً وأمنياً وسياسياً. ومن يفعل ذلك، فإنه يمكن أن يدّعي أي شيء سوى أنه قومي عربي.

ولا يمكن للقومي العربي الحق، ثانياً، أن يأخذ أي جزء من الشعب العربي، أو من الوطن العربي، بجريرة خلافه السياسي أو المذهبي أو الحزبي مع من يحكمونه أو يقودون مقاومته. وإذا كان البعض يزعم اليوم أنه يناهض "الإخوان" في غزة، أو المشروع الإيراني في لبنان، من منطلق قومي عربي، فإن ذلك البعض وقف أيضاً مع الطرف الأمريكي-الصهيوني ضد العراق وسورية وليبيا من قبل، وضد حكامها القوميين، وضد المقاومة الفلسطينية عندما لم تكن تتصدرها كتائب القسام أو سرايا القدس. وفي كل تلك الحالات، كانت المؤامرة على فلسطين والعراق وسورية وليبيا، لا على حكام أو أحزاب، وهي اليوم على غزة ولبنان، لا على "الإخوان" أو "إيران".

واجهت المقاومة في غزة ولبنان، فعلياً، عقبتين كبيرتين أمام تحول معركتهما القومية في المعنى والأهداف إلى معركة قومية في الأدوات والجبهات، وهما:

أ – منظومة التجزئة القُطرية، ودولها الموزعة بين متخاذلٍ ومتواطئ، فهي لم تكتفِ بعدم قطع العلاقات التطبيعية مع الكيان الصهيوني، وبعدم تفعيل أسلحة النفط والغاز والعلاقات الدبلوماسية مع الدول الداعمة للعدوان، وبعدم دعم المقاومة في غزة ولبنان، وبعدم إتاحة المجال أمام عامة الشعب كي يدعمها، بل تجاوزت ذلك إلى حضيضٍ جديدٍ في الدفاع عن الكيان الصهيوني جوياً وصاروخياً، من خلال منظومة "سنتكوم" الأمريكية، وفي فك الحصار اليمني الشهم على الكيان الصهيوني في البحر الأحمر من خلال مد جسور برية وبحرية وجوية إليه.

إن المنظومة القُطرية، بصفتها أقل بكثير سياسياً من دولة-أمة Nation-State، وبصفتها أكثر بكثير أمنياً من إمارة استيلاء وغلبة، صممت كي تضيّع الشأن القومي فيما بينها، وكي تمنع الشعب العربي وقواه الحية من التصدي للشأن القومي، في آنٍ واحد. فمن يتصدى منها للشأن القومي يدفع الثمن وحده، ومن لا يتصدى له يخضع للطرف الأمريكي-الصهيوني مع بقية المنظومة.

وهي دولٌ مفتعلة استعمارياً في حدودها، وبالتالي فإنها تفتقد إلى المشروعية تاريخياً وقومياً، كما أنها تفتقد إلى المشروعية شعبياً، لأنها لم تنبثق من الشعب، بل فرضت عليه، وزاد افتقادها للمشروعية في عصر العولمة، كما أنها أثبتت عجزها حتى عن الدفاع عن سيادتها وقرارها المستقل، وعن حل مشاكل المواطن الأساسية، الأمر الذي فاقم من أزمة مشروعيتها. لذلك،

وجَدَت أن الحفاظ على ذاتها يتطلب نيل "المشروعية الدولية" من خلال الخنوع لمنظومة الهيمنة الغربية ومسالمة العدو الصهيوني.

وهي، إضافةً إلى ذلك، دولٌ مصممة كي "تثبت ذاتها" إزاء بعضها بعضاً، لا إزاء الهيمنة الخارجية والاحتلال الأجنبي. ليكن واضحاً إذاً أن الحديث عن العروبة والقومية والمشروع القومي لا يتعلق من قريبٍ أو بعيدٍ بمنظومة الدويلات القُطرية المسماة "عربية"، لأن وجودها القُطري يمثل، في حد ذاته، نقيضاً للمشروع القومي، مشروع تأسيس دولة الوحدة الاندماجية العربية التي لا معنى للحديث عن مشروع قومي من دونها.

ب - ضعف الحركة الشعبية العربية، بقواها وأحزابها وتياراتها المختلفة، وعدم قدرتها على تحريك الشارع عندما وكما يلزم تحريكه، في مواجهة التحديات القومية الكبرى، لتهديد الأنظمة المتواطئة بالسقوط، حتى تغلق سفارات العدو الصهيوني وقواعد الاحتلال الأمريكي، وإجبار الأنظمة المتخاذلة على فتح كل أبواب الدعم للمقاومة، وفك الحصارات وكسر العقوبات، لأن تلك هي إرادة الشعب العربي التي يخالفها حكامها، ولأن تلك هي المصلحة القومية العربية قبل أن تكون مصلحة أي جهة أخرى.

لكنّ العجز الذي تعيشه الحركة الشعبية العربية، والقيود التي تفرضها الأنظمة عليها، جعل المناضلين العرب يسقطون أحلامهم وطموحاتهم على فرسان المقاومة الأشاوس، في حين كان أولئك يحلمون ويطمحون بأن يتحرك الشعب العربي لدعمهم، وتبقى الحلقة المفقودة بين الطرفين غياب حركة شعبية عربية منظمة فعالة عابرة لحدود التجزئة وللأيديولوجيات وذات سقف نضالي يضع التناقض الرئيس مع الطرف الأمريكي-الصهيوني على رأس أولوياته.

تنتج العقلية "القُطرية"، بالمقابل، حتى عندما تحملها أحزاب وشخصيات معارضة، موقفاً "قُطرياً" رثاً في القضية الفلسطينية، هو تعبير الفلسطينيين عن أنفسهم في "دولة"، أسوةً بالقُطريات الأخرى، أي أنها تعيد إنتاج برنامج سلطة الحكم الذاتي المحدود في رام الله، في حين أن المشروع القومي في فلسطين هو تحريرها من النهر إلى البحر، وتقويض الكيان الصهيوني "مجتمعاً" و"جيشاً" و"مؤسسات"، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق بقوى الفلسطينيين وحدهم، لأننا لا نواجه المستعمرين المستوطنين اليهود في فلسطين وحدهم.

على الهامش، يمثل مشروع "الدولة الفلسطينية" مشروعاً رثاً لأن الكيان الصهيوني ذاته تجاوزه، بعدما وظفه في توزيع الأوهام فلسطينياً وعربياً أكثر من 40 عاماً، ولأن أحرار العالم في شوارع الغرب ذاته تجاوزوه إلى شعار من "النهر إلى البحر"، ولن نسأل عن موقف عامة العرب والمسلمين هنا من القضية الفلسطينية.

باختصار، لا رهان على الأنظمة، ولا رهان على الشعب إذا لم يجرِ تنظيمه وتعبئته وزجه في الصراع، واللبنة المفقودة من أجل بناء هذه الرافعة الشعبية العربية للمشروع القومي هي المناضل السياسي والمثقف العضوي المنخرط في بنائها، لا لأن تلك الخامة الثورية مفقودة في مجتمعنا العربي، بل هي متوافرة بعشرات الآلاف، على الأقل، وإنما لأنهم عشرات آلاف، فرادى، ولأنهم يبحثون، فرادى، عن حواضن، في حين أن مهمتهم العملية تكمن في بناء شبكات قومية مستعدة وقادرة على القيام بنشاطات متزامنة عابرة للحدود.

وللمزيد بشأن هذه النقطة، الرجاء مراجعة مادة "نحو تصور عملي لتشكيل حركة شعبية عربية منظمة" في طلقة تنوير 91.

عروبة الإسلام وإسلام العروبة – الجزء الأول

محمد خالد عمر

مقدمة:

إلى وقت قريب لم نكن بحاجة إلى دراسة العلاقة بين "العروبة والإسلام"، لأنّ ذلك كان بدهياً، وكان الشعور المسلم الشعبي العام يرى أنّ "كلّ عربي مسلم وكل مسلم عربي" هذا ما حصل مع "المهندس المصري القبطي عبد الله" عندما ذهب إلى جبال الجزائر متطوعاً في الثورة الجزائرية، فوصل إلى جبل الثوار بعد وقت العصر، وعندما أُذّنَ لصلاة المغرب طلب منه الثوار أن يؤمهم في الصلاة، لأنه الأكثر علماً، فاعتذر، وبإلحاحهم أعلمهم بأنّه مسيحي، فاعتبروا هذا تهرّباً من الإمامية، لأنهم لم يكونوا مقتنعين أنه يمكن أن يكون هناك عربي واحد غير مسلم.

بالمقابل، لم يكن العربي غير المسلم يشعر بأي حرج عندما يكون مقاتلاً تحت راية الإسلام مدافعاً عن العروبة وأرضها. فقد أورد رياض نجيب الريس في كتابه المسيحيون العرب قال: (للنصرانية العربية يومان أغرّان يوم في العراق ويوم في الشام. في العراق يوم انضمّ المثنى بن حارثة الشيباني إلى جيش الإسلام بقيادة سعد بن أبي وقاص العربي على رأس كوكبة من فرسان بني شيبان النصارى العرب في فتح بلاد العجم. أمّا يوم الشام ففيه رفض النصارى العرب أن يحاربوا في صفوف الجيش الروماني لملاقاة إخوانهم العرب)[1] أمّا المسلم غير العربي فقد كان يتبارك بالعربي الذي يلتقي به، وكانت دمشق تسمى "شام شريف".

العلاقة بين العروبة والإسلام

كانت نهاية القرن التاسع عشر مؤذنة بولادة مشروع عربي ناهض، إلا أنّ رجاله كانوا يعيشون قلقاً يتأرجح بين أسلمة المشروع أو تعريبه، وعندما تغلّبت السياسة على الفكر والمصلحة على الغاية، اشرأبت أعناق الأنانيين، تفرّق الجمع، نسيت الأمة مشروعها النهضوي وكثرت فيها التيارات السياسية التي غلب عليها تياران هما التيار القومي والتيار الإسلامي وبدل أن يتآلفا تنافسا وتخاصما، ولم يطل بهما الوقت حتى دخلا مرحلة المواجهة والصدام، لأنهما لم يدركا أنّ العلاقة بين العروبة والإسلام ليست سياسية، وليست تصنيفية ولا توصيفية، وإنما هي علاقة مصيرية، فعندما تخسر العروبة يخسر الإسلام، وعندما يخسر الإسلام يتقطع ناظم العروبة، وتنفرط حباتها، وتخسر الأمة رصيد قوتها، وتصبح الهوية الجامعة أبعد منالاً، وتولد دعوات تفريقية "إثنية، طائفية، مناطقية، وتاريخية" تفتّ في عضد الأمة. وصدرت دراسات عدّة تناولت العلاقة على أنهما طرفان، يغالب الثاني، وكلّ دارس يفضل أحدهما على حسب هواه ومدرسته السياسية.

عروبة الإسلام وإسلام العروبة

"عروبة الإسلام وإسلام العروبة". مسارٌ أرسيت على شاطئه سفينتي، ورأيت فيه صورة العلاقة الحقيقية لتياري الأمة يتخطّى العوائق وينهي الاختلافات، ويعطي لكل مشروع أو تيار سياسي حرية اختيار طريقه لخدمة مشروع الأمة النهضوي. وقد حسبت لكل معترض حسابه. فالعربي غير المسلم يمكن ألا يقبل بهذه الصياغة، لأنّه يشعر معها أنه يتراجع مع دينه إلى المرتبة الثانية، وهو الدين السابق عن الإسلام. وهكذا المسلم غير العربي قد يعترض ويشعر بالغضاضة لأنّ في الإسلام ينافس وجوده في إثنيته. هذه المخاوف والاعتراضات ينبغي على صاحب الشعار أو التوصيف تبديد المخاوف لدى الطرفين، وإعطاء العربي المسيحي موقعه الحقيقي في الأمة، ومنح المسلم غير العربي قوة دافعة ليكون قوة مساندة للأمة الجامعة، وذلك بإعادة صياغة تعريف مفهومي العروبة والإسلام ليكونا مفيدين، وتقشير السماكات المتراكمة على كليهما.

الإسلام: الإسلام في هذه المعادلة لا نعني به الدين بمعنى الاعتقاد والتعبّد، فالدين بهذا المعنى لا يبني دولة، ولا يمكن أن يكون مشروعاً للأمة، الإسلام كدين، كأي دين، عند أهله "عقيدة، وعبادة، ومنهج". ولأنّ العقيدة تخصّ معتنقها، والعبادة خاصة بمن ألزم نفسه بها، فهذا يعني أنّ الناس أحرار فيما يعتقدون، وبما يدينون، وأحرار في ممارسة طقوسهم العبادية، وأنّ

[1] - رياض نجيب الريس المسيحيون العرب دراسات ومناقشات لأبحاث عربية، ط2، 1982م

مفهومي العقيدة والعبادة لا يعنيان الأمة إلا بقدر ما يقوّمان سلوك صاحبهما. لكن ما يعني الأمة إنما هو إسلام المشروع الذي يتجاوز إسلام الشيوخ الراكد؟ ويسمو فوق الإسلام الحركي المقولب والمتحجّر، المشروع الذي يبني صرح أمتنا بالمحبة ويضبط إيقاعها بالعدل وتكافؤ الفرص. وقد لخّص الدكتور محمد إقبال شريعة الله كلها بالعدل فقال: (شريعة الله هي العدل، فأينما كان العدل كانت شريعة الله).

العروبة: هي فعل انتمائي أشبه بعقد اجتماعي جديد ولد مع الأمة الجديدة في المدينة المنورة، يتجاوز النظريات القومية والأيديولوجيات المؤطرة، ولا يخصّ العرب وحدهم في هذا المحيط العربي الواسع، ولو أنّ العربَ المسلمين هم نواة الأمة، وعمودها الفقري. فالعروبة إذاً ليست جنساً ولا فكرة عابرة، ولا موقفاً حادثاً، ولا ضرورة سياسية؛ وإنما هي هوية الإسلام. فالإنسان في جغرافية العروبة "عربي"، مسلماً كان أو مسيحياً، فهو ابن عروبة المنهج القيمي، وابن اللغة، وطريقة التفكير والمزاج، والثقافة، والفكر. والمسلم غير العربي فيها فيدخل دائرة العروبة من بوابة الإسلام "بالمنهج، والمقدسات، والإرث الحضاري، واللغة. وعليه يمكننا تعريف العربي، "مسلماً أو مسيحياً"، بأنه **"من تكلّم العربية، وفكّر عربياً، وعمل لصالح العروبة"**.

تفاعل العروبة والإسلام

السؤال الآن كيف تقوم العلاقة بين العروبة والإسلام؟ يمكن الإجابة عن السؤال بأنّه لطالما أنّ العلاقة مصيرية، ولا يمكن الفصل بينهما، إذ العروبة منحت الإسلام هويته، والإسلام منح العروبة روحها وقام بتنقيتها، وتمّم نواقصها، وخلّصها مما لحقها من شوائب، وستر عيوبها. لهذا نعتقد أنّ التفاعل بين "العروبة والإسلام" لا يشبهه شيء على الأرض إلا تفاعل الهيدروجين والأوكسجين، وينتج عن هذا التفاعل الماء عنصراً جديداً بمواصفات جديدة يصبح فيه الانتماء هو الفاعلية، وليس للمكوّن وأيّ محاولة لعودة أحد العنصرين إلى ما كان عليه، سيفقد الماء وجودها وفاعليتها ووظيفتها.

فالماء الناتج عن تفاعل الهيدروجين والاوكسجين هو الأمة الناتجة عن تفاعل العروبة والإسلام. إذ إن الأمة العربية المكوّنة بمشروع الإسلام غدت فيه ومعه نسيجاً واحداً، أو هي حالة مولود جديد نتيجة تزاوج رضائي، يحمل جينات كلا الأبوين لكنه ليس الأبوين. فهو ابن أسرة من طرفين، لكن هويته واحدة مميزة.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

مكوّنات الأمة

قدّم الإمام محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، رحمه الله، وصفاً لمكوّنات الأمّة. قال نحن أمة بأكثريتين: "عرب فيهم مسلمون، وغير مسلمين. ومسلمون فيهم عرب وغير عرب"[2].

لم يتسنّ لي محاورته في هذه الجزئية وسؤاله عن معنى الأمة عنده، إلا أنني أعني بالأمة هي ذاتها الأمة العربية الإسلاميّة التي مهدها مكة وحاضنتها وعاصمتها المدينة المنوّرة، والتي ظللت برايتها المساحة الجغرافية الممتدّة من جبال طوروس إلى البحر العربي والمحيط الهندي، ومن جبال زاغروس إلى بحر الظلمات. فضاء عربي واحد "لغةً، وتاريخاً، متجذراً، وعادات، ومصائر، وطريقة تفكير. وقد رصدنا في أمتنا ثلاثة مكوّنات: "عرباً مسلمين، وعرباً غير مسلمين، ومسلمين غير عرب". هذه المكوّنات الثلاثة على معيارية الفاعلية، لن يكون هناك فرقٌ بين أي فرد وآخر في الأمة، غير الصدق والإخلاص والعطاء.

1 - العربي المسلم

في هذا الفضاء العربي الواسع، وعلى معيار الصدق بالالتزام والإخلاص بالعمل، لا يمنح العربي جنساً والمسلم ديناً أيّ ميزة في دولة الأمة هذه، وإنما يحمّله عبء مسؤولية إضافية، وفي الوقت ذاته يبعد عن الأمة تهمة الشوفينية المغلقة.

[2] - محمد مهدي شمس الدين. محاضرة في المركز الثقافي في إدلب ربيع 1998م. نحفظ نسخة عنها في مكتبتنا الخاصة.

2 - العربي غير المسلم

إذا ما صدق العربي غير المسلم بانتمائه إلى عروبته كان ابن الأمة قديمها وجديدها، وكان الإسلام مشروعه الثقافي المتجذّر في الأرض والتاريخ، وكان المكوِّن الرئيس لشخصيته. فحينما أحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدواوين لم ينظر إلى التفريق على أساس الدين أو العقيدة. وحين عرّب عبد الملك بن مروان الدواوين، وصك النقود، لم يقل لنا التاريخ أنّه أسلم الدواوين؛ بل عرّبها. ولم يخيّب العرب غير المسلمين الأمل بهم فقد خدموا دولة الأمة بكل شرف وإخلاص. وفي العصر الحديث ظهرت غيريّة هؤلاء العرب غير المسلمين على لسان نخبهم السياسية، والأدباء، والمفكرين، والأعلام.

فهذا أمين الريحاني يردّ على مقولة كبلنغ "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا". يقول الريحاني: نعم أنا الشرق والاستعمار المتطلّع إلى غزونا اسمه الغرب). أمّا جبران خليل جبران، فيفجر مفاجأة للكثيرين يقول: (كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل صدقة، وكنا ننزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز، ولما أحيانا أماتنا)[3]. وهكذا أمين نخلة، وهو النصراني الماروني، يعلن انتماءه بكل وضوح، يقول: أمّا أن يكون فينا عربيٌ واحدٌ من لحمنا ودمنا، ثم يغدو لا يمتُّ إلى محمد بعصبية، ولا إلى محمد وقومية محمد، فهو ثقيل علينا غريب بيننا) [4].

أمّا المطران "جورج خضر"[5] يلفت انتباهنا إلى أنّ صلاح الدين الأيوبي عندما استعاد أنطاكية من الفرنجة أعاد معه البطريرك الأرثوذكسي، لأنّ الصليبيين عندما دخلوا أنطاكية برز حقدهم على العنصر العربي، فلم يفرّقوا بين مسلم ومسيحي، ولا بين طفل وامرأة، أو شيخ كبير. أكّد ذلك الإخباري الأرمني متى الرهاوي حيث وصف ما قام به الصليبيون بالمجازر الرهيبة.

إنّ غالبية كتب التاريخ التي عاصرت تلك المرحلة وما تلاها جاءت على الجرائم والمجازر التي ارتكبت في أنطاكية وسواها من دون التفريق بين مسلم ومسيحي. قال ابن القلانسي في تاريخه: (قتلوا عدداً لا يحصى من سكان المدينة رجال ونساء كباراً وصغاراً وأولاداً)[6].

واليوم من المفكرين والأدباء والسياسيين المسيحيين الذين وعوا دور الإسلام في بناء الأمة الأديب والموسيقي فيكتور سحاب يقول: (إنّ الإسلام ليس ديناً فقط، وإنما دين وحضارة، والإسلام كحضارة يملأ حياتنا كلها. إنّ مزاجنا الأدبي واللغوي، وتوجّهاتنا السياسية، وميولنا الموسيقية، عمارتنا، فنّنا، كل هذا ينتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية، فأنا المسيحي أنتمي في مزاجي الموسيقي إلى هذا الإسلام والحضارة الإسلامية التي تحتل في حياتي نسبة 90%، وهناك جزء أختلف فيه عن المسلم وهو المتعلق بمراسم الصلاة. وأرى أنّ القومية العربية لها خصائص معينة وتعبّر عن شخصية معينة. إحدى خصائص

[3] - رياض نجيب الريس المسيحيون العرب دراسات ومناقشات لأبحاث عربية، ط2، 1982م
[4] – رياض نجيب الريس المسيحيون العرب دراسات ومناقشات لأبحاث عربية، المرجع السابق
[5] - المطران جورج خضر. مقالات. أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك.
[6] - كامل بن حسين البابي الحلبي الشهير بالغزي. نهر الذهب في تاريخ حلب. دار القلم. حلب.. ج3 ص 295

العروبة تفاعلها مع الإسلام، وعملية الفصل بالغة الصعوبة لأنّ الإسلام ليس ديناً فحسب)[7]، وهنا نستذكر الشخصية القبطية الكبيرة مكرّم عبيد العلم الذي كان يقول: أنا مسيحي ديناً ومسلم وطناً.

وهذا الأب محمد جورج شريحة هلسا، راعي كنيسة مار الياس في مرج الحمام في عمّان، يحمل الاسم، وهو مفتخر به، بالرغم مما يعانيه من مضايقات في مطارات أمريكا وأوروبا. وزكي قنصل، الشاعر الكبير المعروف، رزِق بمولودٍ ذكر فسماه عمر، وهو المسيحي العربي لإبراز فخره بالانتماء للعروبة. أمّا جورج جرداق فقد ألف كتاباً بجزأين عن الإمام علي كرّم الله وجهه أسماه عليّ "صوت الإنسانية"، وهو ينطلق بشخصية الإمام، وهوية العروبة إلى الإنسانية.

كثيرة هي الأسماء والمواقف التي سطرت مواقف البطولة في الانتماء أمثال الكبير فارس الخوري العلم الذي كانت سيرته لا تتناقض مع ما يؤمن به فها هو يعلن: (الإسلام هو وطن المسيحيين العرب فهم الذين عرّبوا دواوينه، وهم من بنى مساجده، وشاركوا في فتوحاته)[8] .

3 - المسلم غير العربي

كما أنّ العربي غير المسلم إذا ما صدق بانتمائه يكون مسلماً وطناً ومشروعاً، فإنّ المسلمَ غير العربي إذا حسن إسلامه انتمى إلى العروبة بمقدار انتمائه إلى الإسلام. فقد أورد الطبري والبلاذري في تاريخهما: (أنّ الأسلمة والتعريب كانا يسيران معاً أيام الفتح الإسلامي، وكانت الأعاجم ترى من دخل في الإسلام صار عربياً). وهذا الكلام تثبته النتائج التي ظهرت بالعلوم والأدب وكل فروع الثقافة والفلسفة وعلوم اللغة والترجمات بلغات عربية مشعة. وحين سأل أبو جعفر المنصور عام 132ه مولى هشام بن عبد الملك عن هويته؟ أجاب المولى: (يا أمير المؤمنين إن كانت العربية لساناً فقد نطقنا به، وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه)[9]. ومن قبل ذلك دخل الحجاج المسجد قبل أن تبدأ مراسم الصلاة، فقال: (لا يؤمكم إلا عربي فوثب الناس إلى يحيى بن وثاب وكان إمامهم وكان مولى. فنهرهم الحجاج وقال: ويحكم إنما العروبة هي القلب واللسان). حتى أنّ فيليب حتي يقول: (مهما كانت قومية المسلم بمجرد اعتنق الإسلام صار عربياً)[10] .

أما الآن فمن أجمل ما قرأت ما كتبه الدكتور علي شريعتي في كتابه الأهم "العودة إلى الذات" حيث قال: (حين اكتفت الشعوب غير العربية بالإسلام كانت منسجمة مع ذاتها، وعندما حرّكت عصبيتها قوى خارجية قُوِض حكم الإسلام، وانقسمت دولته إلى دويلات، وعادت الدويلات إلى عصبيتها، ومن يعد إلى عصبيته يتخلّ عن إسلامه)[11].

[7] – رياض نجيب الريس. المسيحيون العرب. المرجع السابق
[8] – النقري رائق. فقه المصالح. دار الأمل اربد الأردن ط1– 1999م صفحة 105
[9] – العودة إلى الذات، د. علي شريعتي، ترجمة إبراهيم الدسوقي. الزهراء للإعلام العربي. ط1986 ص 51 ـ 52
[10] - فيليب حتي. الإسلام منهج حياة. دار العلم للملايين بيرو 1983م صفحة 108
[11] - د. علي شريعتي. العودة إلى الذات. المرجع السابق

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يتساءل إلى أي ذات أعود، فذاتي القومية تسقطني فريسة العرقية الفاشية والجاهلية القومية. فهل يمكن العودة إليها؟[12]

ونحن نُكبِرُ ما قاله الدكتور علي شريعتي، ونعقب: كل قومية أو لغة قد تتنافر مع الإسلام إلا القومية العربية واللغة العربية. ولذلك لم نفاجأ بموقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام حين رفض دعوة أبي مسلم الخراساني بجملة واحدة انتمائية واضحة معبرة. قال: (لا أنت من رجالي ولا الزمان زماني).

علاقة الأمّة بالإسلام

طالما أضحت العروبة والإسلام مولوداً واحداً ولا يمكن فصلهما، فهذا يعني أنّ أيّ عمل من أجل العروبة هو بالضرورة عمل في سبيل الإسلام، وهي حالة فريدة، بعكس أيّ هوية أخرى، حيث تكون خطأً أيّ مسلم غير عربي بتعصّبه إلى قوميته سيخلخل إسلامه، لأنّ تعصبه سيضعه خارج حدود واجباته الإسلامية، وقد يضعه في مواجهة العروبة هوية الإسلام، فتطغى المصالح، وتحلّ الأطماع في أرض العروبة وتاجها. وهذا عين ما حصل مع الإمبراطورية الفارسية حين صارت في مواجهة العروبة التي هي أرض الإسلام ولغته وهويته وبُعدُه الثقافي. وأيضاً هو عين ما حصل مع الإمبراطورية العثمانية يوم اتبعت سياسة التتريك، وتخلّت عن العروبة التي منحها لها الإسلام، وعادت إلى طورانيتها، وأعلنت أنّ النطق بالعربية جريمة يعاقب عليها القانون، فخسرت نفسها وسلطنتها وإسلامها.

مقاربات لمشروع الأمة

نحن نعيش اليوم في عالم عرفتْ فيه الأمم طريقها، ووعتْ ذاتها، ووضعتْ مشاريعها الاستراتيجية. ألم تروا أيها المتفرّقون كيف للأمة الفرنسية مشروعها، ولبريطانية مشروعها، ولإيطالية وألمانية وروسية والصين والهند واليابان كلّ منها لها مشروعها ألا يوجد في تلك البلاد إثنيات؟ أليس فيها أديان ومذاهب؟ فلماذا اتفق الجميع على بناء أمته التي ينتمي؟ ألم تروا في محيطنا الإقليمي جوارنا دولتين إقليميتين مسلمتين كل منهما عرفت طريقها، وبنتْ مشروعها، حتى الدولة المسخ لها مشروعها الاستراتيجي الذي تعمل من أجله كل أحزابها السياسية، ولماذا نحن يا أبناء الأمة العربية المتفرّقون: كل فئة أو إثنية منبوشة أو محدثة، وكل مذهب أو طائفة أو عشيرة أو إمارة تبغي الانفصال وخلع عباءة العروبة؟ ولغتكم وتاريخكم وأرضكم كلها تنطق العربية وتنادي بالأخلاق. ولماذا سمحتم لأنانيتكم أن تبحث عن الخلاص الفردي، ورضيتم أن يكون ولاؤكم خارج دائرة الأمة؟

[12] – محمد خالد عمر. عروبة الإسلام وإسلام العروبة. دار النمير دمشق. ودار الرواد بيروت 1998م، ص 49.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

قراءة في خلفيات أحداث أمستردام في الـ 7 من نوفمبر/ تشرين الثاني 2024

إبراهيم حرشاوي

نبذة أولية

أثارت حدية أحداث أمستردام نقاشات مختلفة بعدما شاهد فيها العالم مواجهات شرسة بين شباب الجالية المغربية في هولندا من الجيل الثاني والثالث وهوليغنز Hooligans (اسم يستخدم لوصف البلطجية، وخصوصاً في عالم كرة القدم) فريق "ماكابي تل أبيب" الصهيوني بعد مبارة جمعته مع فريق أياكس أمستردام.

وأخذت هذه المواجهات، في النقاشات السياسية التي تلتها، داخل هولندا وخارجها، أبعاداً قومية واجتماعية لتفسير تصدي الشباب المغاربة المتحمس والعنيف بعدما قام هوليغنز الفريق الصهيوني - المعروف بانتماء معظم عناصره للأجهزة الأمنية لدولة الاحتلال - بالاعتداء على سائقي سيارات الأجرة المغاربة بالمدينة وبتدنيس العلم الفلسطيني، ناهيك عن إطلاقهم هتافات معادية للعرب والمسلمين، وهو ما وثقته مقاطع عديدة في مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد أثارت هذه الأحداث نقاشاً واسعاً ومشحوناً بالسرديات المعادية للعرب والمسلمين على الصعيد الهولندي والغربي، بعدما تمت تغطيتها من عدسة "معاداة السامية"، إذ وُظِفت ورُوِجت لهذا الغرض مفاهيم من الحقبة النازية والحرب العالمية الثانية وما سبقها، مثل "المذبحة المدبرة" "pogrom"، و"ليلة البلور "kristallnacht"، لوصف ردة فعل الشباب المغربي، أي جرى توظيف التصوّر الرائج في أوساط المحافظين الجدد والصهاينة، ألا وهو تصوّر "الفاشية الإسلامية"، والذي يتضمن في معناه الدقيق تشابهاً تلقائياً بين كل ما له صلة بالإسلام المقاوم والأيديولوجية الفاشية.

ولا يخفى على أحد أن هذه المقاربة للأحداث ترجع إلى اللون السياسي للحكومة الهولندية التي يتزعمها الحزب الهولندي 'بي في' تحت قيادة خيرت ويلدرس، والمعروف بمواقفه المعادية للمغاربة والإسلام والمؤيدة للصهيونية ومشروع "إسرائيل الكبرى". يضاف إلى ذلك مكانة أمستردام التاريخية كقلعة أوروبية للنفوذ اليهودي والصهيوني ساهمت بالضرورة في الهستيريا الإعلامية والسياسية التي رافقت هذه الأحداث.

جذور العلاقات "الإسرائيلية"- الهولندية

لا بد إذاً أن نتوقف على الأقل عند محورين أساسيين لرسم صورة واضحة عن الخلفية الاجتماعية والسياسية لتلك الأحداث بعيداً عن التأويلات التي لا تضع الجهات الفاعلة في سياقها الموضوعي. لذلك، ينبغي التطرق أولاً إلى النفوذ الصهيوني القوي في هولندا وعلاقة هذا النفوذ بالمشهد السياسي الذي يسيطر عليه اليمين الهولندي. ثانياً، ينبغي وضع ردة فعل الشباب المغاربة في هولندا وعلاقتهم بالقضية الفلسطينية ضمن سياقهم في المغترب وأجواء أولئك الشباب السياسية البعيدة عن أجواء الحركات المتضامنة مع القضية الفلسطينية، والتي برزت مؤخراً لدى الفئات اليسارية والجاليات العربية في الغرب عقب "طوفان الأقصى".

أما بالنسبة للنفوذ الصهيوني في أمستردام وهولندا فيعود إلى الحضور المؤثر لنخبة من اليهود الإيبيريين على المشهد التجاري والثقافي والديني بعد لجوئهم إليها إثر تداعيات حرب الاسترداد ومحاكم التفتيش. ويتجلى هذا الحضور المؤثر ابتداءً من القرن السابع عشر في شخصيات مثل الفيلسوف باروخ سبينوزا 1632-1677، والحاخام القبلاني ميناسي بن إسرائيل 1604-1657، والشاعر إسحاق دا كوستا 1798-1860، الذي لعب دوراً نشطاً في طرح الفكر الصهيوني الخلاصي لدى الطائفة البروتستانتية الهولندية بعد اعتناقه مذهبها.

وقد ازدهرت الثقافة اليهودية في مدينة أمستردام حتى أُطلِق عليها اسم "قدس الغرب"، أو بالهولندية “Jeruzalem van het Westen”، وهي عبارة لها دلالتها في تفسير دوافع التصرفات الهمجية والمعادية للعرب والمسلمين لهوليغنز "ماكابي تل أبيب" في شوارع المدينة قبل أن يتصدى لهم الشباب المغاربة.

برزت وقتها إحدى أهم الشخصيات في تاريخ يهود هولندا، وهي شخصية القيادي اليهودي ميناسي بن إسرائيل (1604-1657) الذي كان يبشر اليهود باقتراب قدوم المخلص، الأمر الذي يوحي بعودتهم إلى فلسطين حسب معتقداتهم الخلاصية. وقد ألّف لهذا الغرض كتاباً بعنوان "أمل إسرائيل" بعدما التقى في عام 1644 أنطونيو دي مونتيزينس، وهو رحّالة يهودي من طائفة الكنفيرسوس (اليهود الذين اعتنقوا الكاثوليكية)، فأقنعه بفكرة أن الهنود في جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية هم من نسل ما يسمى "قبائل إسرائيل المفقودة".

مملوءاً بهذه الفكرة الخلاصية، وجّه "بن إسرائيل" نشاطه السياسي نحو إنجلترا لنقل القوة التجارية والسياسية ليهود هولندا جزئياً إلى بريطانيا، جاعلاً من هذه الخطوة أول قفزة نحو إنشاء حلف بين العالم الأنجلو-ساكسوني الإمبراطوري ويهود أوروبا، والذي نسميه حالياً الحلف الصهيو-أمريكي.

تجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود طُرِدوا من إنجلترا سنة 1290 من طرف ملكها إدوارد الأول، وأن نجاح "بن إسرائيل"، بعد ثلاثة قرون ونيف، في الحصول على إذن لليهود بالإستقرار في إنجلترا، مرة أخرى، يعد فتحاً مبيناً بالنسبة لليهود في أوروبا. وقد برر خطوته، بحسب بعض المؤرخين، في القناعة الخلاصية التي تقول إن استيطان اليهود في كل أنحاء العالم علامة من العلامات على أن المخلص سيأتي قريباً لا محالة.

في إنجلترا، كان "أوليفر كروميل"، زعيم الجيش الجمهوري الذي أطاح بالملك الإنجليزي "كارل الأول"، مندفعاً نحو تحقيق فكرة عودة اليهود إلى إنجلترا، ويرجع ذلك إلى ميولاته المتسامحة تجاه الأقليات الدينية (اليهود والطوائف البروتستانتية)، لكنّ ما دفعه بشكل أساسي نحو "تطبيع العلاقات"، هو إيمانه بالقيمة المضافة التي قد تعطيها مشاركة كبار التجار اليهود في التجارة الإنجليزية.

وفي هولندا، ترسخت العلاقات، منذ ذلك الوقت، على أسس الصهيونية كقاسم مشترك بين الثقافة البروتستانتية الهولندية واليهودية. وبعد تأسيس الكيان الصهيوني، سرعان ما وصفت العلاقات الثنائية بـ"العلاقة الخاصة" من طرف شيمون بيريز وإسحاق رابين وبنيامين نتنياهو. ولا شك في أن طبيعة هذه العلاقة تطوّرت بعد الدور الهولندي في دفع الاتحاد السوفيتي إلى السماح لمئات الآلاف من اليهود بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى المساعدات العسكرية السخية (مثلاً: التدريبات على عبور قناة السويز بضفاف نهر الميز بهولندا) التي قدّمتها هولندا، وضخ الأموال الطائلة في الميزانية التنموية للكيان الصهيوني، إذ وصل حجم المساهمة الهولندية إلى ثلث الميزانية في إحدى مراحل التعاون الثنائي.

اليمين المتطرف: النسخة الهولندية للمحافظين الجدد واستدخال مشروع "صدام الحضارات"

لم تكن التصريحات المتطرفة للقيادي الهولندي خيرت ويلدرس ومن لف لفه إزاء المغاربة وليدة أحداث 7 نوفمبر، بل يعود ما قيل إلى خطاب ومشروع سياسي أوسع من حزب الـ"بي في في" الذي يمثله ويلدرس، إذ إنه امتداد هولندي لأيديولوجية المحافظين الجدد في الولايات الأمريكية المتحدة.

ويرتبط اسم "فرتس بولكستاين" باستيراد مشروع المحافظين الجدد، وهو زعيم ليبرالي هولندي مخضرم، إضافةً إلى مجموعة من المثقفين الذين عبروا عن هذا التوجه الفكري عبر مؤسسة إدموند بورك الهولندية Edmund Burke Stichting. ومن نافلة القول إن هذه الأيديولوجية أعادت إنتاج ذاتها بعد أفول الاتحاد السوفييتي، وقد مست أدبيات مرجعية، مثل كتاب "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكاياما، وكتاب "صدام الحضارات" لصامويل هنتنجتون، مساً رفيعاً موضوع "إعادة إنتاج الذات" لدى المحافظين الجدد.

لقيت هذه الأدبيات صدىً واسعاً في هذه الأوساط الهولندية، إذ تفاعل بولكستاين مع كتاب "نهاية التاريخ" في مقالة نشرها في جريدة De Volkskrant في سنة 1989 أعرب فيها عن أن العالم لم يصل بعد إلى نهاية التاريخ طالما أن هناك شيئاً اسمه الإسلام يواجه العالم الغربي. ومن اللافت أن هذا الطرح لبولكستاين سبق أطروحة هنتنجتون بعدة سنوات، مع أن فكرة الصراع مع الإسلام والعالم الإسلامي كان قد أطلقها أحد أهم مراجع المحافظين الجدد، الأمريكي-البريطاني برنارد لويس.

ومع مرور الوقت شهدت الثقافة السياسية الهولندية اليمينية والليبرالية تحوّلاً جوهرياً مع استدخال وتعميم أطروحة "صدام الحضارات" في الداخل الهولندي. وقد لعب السياسي الهولندي بيم فورتاين دوراً "ثورياً"، إذا صحّ التعبير، باكتساحه الساحة اليمينية والليبرالية بعد هجمات 11/9. ومن اللافت أن فورتاين بدأ مسيرته السياسية في أجواء الحزب الشيوعي الهولندي، قبل التحاقه بالتيار الليبرالي في نهاية الثمانينيات. وبصفته شاذاً جنسياً، يمكن اعتبار بيم فورتاين نموذجاً لما يعرف بالمثلية القومية، حيث أنتج خطابا قومياً-علمانياً ومحافظاً في نفس الوقت، وبصيغة تعزز مكانة المثليين في الأسرة والمجتمع.

ويرجع مصطلح "القومية المثلية" إلى الباحث في دراسات النوع الاجتماعي الأمريكي "جاسبير ك. بوار"، في عام 2007 للإشارة إلى القوى السياسية التي تتماشى بوصلتها الأيديولوجية مع هياكل السلطة النيوليبرالية والرأسمالية ومع مطالبات مجتمع المثليين، بغرض تبرير المواقف العنصرية، وخاصة ضد المسلمين، مستندين في ذلك إلى قناعات مفادها أن المهاجرين كارهون للمثليين، عكس الحضارة الغربية التي تقوم على المساواة والتسامح وفق قناعتهم.

وبعد اغتيال كل من بيم فورتاين على يد ناشط في مجال البيئة سنة 2002، والمخرج السينمائي الهولندي تييو فن خوخ سنة 2004 الذي أساء بفيلم قصير للإسلام على يد الإسلامي محمد بويري (إسلامي سلفي من أصل مغربي) احتدم الخطاب المناهض للمسلمين وأخذ منطق "صدام الحضارات" يشق طريقه وسط فئات واسعة من الجمهور الهولندي مع محاولات تعريف القومية الهولندية وقيمها العليا وفق معاداة الآخر الذي يمثله الإسلام والمسلمون.

استلم كل من خيرت ويلدرس المشار إليه آنفاً، والبرلمانية الهولندية السابقة الصومالية الأصل، أيان هيرسي علي، المشعلَ من بيم فورتاين. وتجدر الإشارة هنا إلى ولائهما المطلق للصهيونية ومصالح كيان الاحتلال على غرار كل من سبقهما في زعامة هذا التيار، فخيرت ويلدرس مثلاً اشتغل في ثمانينيات القرن الماضي في إحدى المستوطنات الصهيونية ويعتبر منذ ظهوره السياسي من الأصوات البارزة في الساحة الهولندية التي تناشد بإنشاء "إسرائيل الكبرى"، كما أشرنا أعلاه. أما آيان هيرسي علي، فلم تقصّر هي الأخرى في دعم مواقف الكيان في تصريحاتها وكتاباتها، بل أكثر من ذلك، انضمت فور انتقالها إلى الولايات الأمريكية سنة 2006، للمعهد الأمريكي لأبحاث السياسة العامة، وهو من أعتى لوبيات المحافظين الجدد والصهاينة.

وبالنسبة إلى مساهمتهما في ترجمة "مشروع صدام الحضارات" في الداخل الهولندي، ينبغي الإشارة إلى الفترة التي تركت هيرسي علي حزب PVDA اليساري-الديمقراطي في يناير/كانون الثاني 2003، لتشن هي وويلدرس حملة مشتركة ضد الإسلام، وفي أيديهما أطروحة هنتنجتون. وفي مقال مشترك نُشر سنة 2003، دافعا عما أطلقا عليه "الجهاد الليبرالي". ومنذ تلك الحقبة حتى يومنا هذا نجد أن أعمدة المحافظين الجدد في هولندا، يتشكلون في غالبيتهم من هذه الشخصيات المذكورة، بالإضافة إلى شخصية أخرى بارزة، وهو آفشين إليان، الكاتب الإيراني المقيم بهولندا، والذي يشكل مع الصومالية آيان هيرسي علي نموذج المسلم الناجح والمندمج بالمجتمع الهولندي والغربي، أي "المسلم" الموالي للإمبريالية والصهيونية.

الشباب المغربي في هولندا والقضية الفلسطينية

لم يعانِ أبناء الجالية المغربية في غرب أوروبا يوماً من ضعف الاتصال، أو قلة التفاعل، مع القضايا العربية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وذلك لأسباب جغرافية وسياسية وهوياتية. وإذا أخذنا الجالية المغربية في هولندا كحالة لهذا التفاعل، سنكتشِف أن الدفاع عن فلسطين لا ينهل بالضرورة من التأثيرات المشرقية، إذ إن المراجع والحاجة الذاتية تدفع المغاربة

بشكل تلقائي إلى الارتباط النفسي والغريزي بالقضايا العربية الرئيسية. والجدير بالذكر أن معظم مغاربة هولندا ينحدرون من منطقة الريف شمالي المغرب.

ولعل أهم الجاليات العربية في هولندا، بالإضافة إلى الجالية المغربية ذات الثقل الديمغرافي الكبير، هي الجاليات العراقية والصومالية والمصرية. وهذا يعني أنّ المشاركين في مواجهات السابع من نوفمبر/تشرين الثاني ربما صودف وجود بعض الأفراد من جنسيات عربية أو مسلمة بينهم، لكنّ ذلك لا يعني أنّ لهم يداً فيما حدث بتلك الطريقة المنظمة.

لذلك، ينبغي فهم سلوك وثقافة المقاومة المغروسة في جذور الإنسان المغربي الريفي. فالمقاومة عند الإنسان الريفي هوية منطقته ذات الطابع القبلي المتين، فهي لا تنشأ مع ظهور أي تهديد خارجي فحسب، أي مع التهديدات الأجنبية السياسية والعسكرية والثقافية، بل هي كذلك جوهر أساسي عند أبناء قبائل الريف في الدفاع عن مقومات الوجود الاجتماعي والمعيشي الصعب بالموطن الأصلي (جبال الريف) أو المهجر.

وإذا نظرنا إلى الهوية السياسية للمغاربة عموماً، وأهل الريف خصوصاً، سنجد أن تراث محمد بن عبد الكريم الخطابي في مقاومة المستعمر الغربي والصهيوني ما يزال حيّاً ويحدد البوصلة في الاتجاه الصحيح . وما من شك في أن رمزية "مولاي محند"، كما يُلقب الخطابي عند أهل الريف، تكسي العلاقة بينهم وبين فلسطين، علماً أن قيادة الخطابي للمتطوعين من المغرب العربي، ساعدت في ترسيخ هذه العلاقة.

ولذلك شاهدنا الشباب الذين واجهوا "هوليغنز" فريق "مكابي تل أبيب" بمثل هذا الاندفاع المتوارث أباً عن جد، الأمر الذي يعطيهم في مثل هذه اللحظات قابلية كبيرة على النزول إلى الشارع وخوض مثل هذه المواجهات بكل ثقة وثبات. فحقد هذه الفئة على الصهاينة ورغبتهم في الانتقام لدماء الأبرياء قي غزة ولبنان كانت عالية جداً خلال تصديهم للهوليغنز الصهاينة، ناهيك عن حماسهم النابع من تجربة خوض مثل هذه المواجهات بشوارع المدن الكبرى الهولندية للدفاع عن تواجدهم أثناء أحداث متعلقة بالعنصرية والإسلاموفوبيا.

خلاصة

أثبتت لنا الخطابات الإعلامية لليمين الهولندي من خلال المفردات والعبارات التي رافقت تغطية أحداث السابع من نوفمبر في أمستردام أنّ لجوهرها أركاناً أيديولوجية مرتبطة بالمشروع السياسي للمحافظين الجدد. أثبت لنا التحليل أيضاً أنّ اليمين المتطرف الأوروبي والهولندي الحالي، وتأثره الشديد بهذه الأيديولوجيا المستوردة من الولايات المتحدة، لا علاقة له من

قريب أو من بعيد بالنازية الألمانية أو اليمين المتطرف التقليدي في أوروبا. فهو خطاب عنصري ومتصهين، يتعامل مع الآخر في الداخل الأوروبي كطابور خامس.

من نافلة القول إنّ آثار هذه الأحداث قد تصعّد الخطاب والسياسيات الموجهة تجاه العرب والمسلمين في هولندا وأوروبا، وخصوصاً إذا أخذنا الضغوط التي تمارسها اللوبيات الصهيونية في أوروبا بهذا الاتجاه. علينا أن نتذكر مثلاً أنّ السياسي الصهيوني المعارض "إيريك زمور" أطلق في فرنسا "حزب الاسترداد" في ديسمبر/كانون الأول 2021، جاعلاً شعاره "المستحيل ليس فرنسياً"، معبراً عن إرادة عميقة عند المحافظين الجدد في أوروبا لترجمة فكرة "صدام الحضارات" عن طريق تطهير فرنسا من التواجد الكثيف للمواطنين من أصول عربية مسلمة. وقد نبّههم في هذا الصدد مرجعيتهم العليا برنارد لويس، الذي دق ناقوس الخطر، إلى إمكانية تحوّل المدن الكبرى في أوروبا على المدى البعيد إلى فضاءات مغاربية متصلة اتصالاً مباشراً بشمالي إفريقيا.

بمناسبة مقتل زئيف إيرليخ على أرض قرية شمع اللبنانية:
حرب التدمير والتزوير، ديمومة الاستعمار والتطهير التاريخي

فارس سعادة

أعاد خبر مقتل "الباحث" Zeev Erlich، أو زئيف إيرليخ، على أرض قرية شمع اللبنانية في الجنوب المشتعل الحديث الحوار والحرب التاريخية حول هوية الأرض العربية، ومدى أهمية العمل على تبيان وتوضيح الحقيقة التاريخية حول التاريخ القديم من نواحي عديدة ومختلفة في نفس الوقت.

فلا يمكن أن يرافق جيشَ العدو هذا "الباحثُ"، الذي يعمل بشكل أو آخر في مجال التاريخ والآثار، إلا لأهمية الموضوع في العقل اليهودي والصهيوني، وبالتالي يمكننا الحديث حول تزوير الأرض بالتوازي مع عمليات التدمير الممنهج للمساحات المعمارية في فلسطين ولبنان بالنظر إلى أن عمليات التزوير التاريخي في فلسطين ولبنان والأردن وسورية، وصولاً إلى شبه الجزيرة العربية، هي عملية حية

مستدامة منذ ما قبل الاحتلال الصهيوني لفلسطين عام 1948، بل كانت حجر الأساس لتبرير عملية الخلق والتخيل لـ"أرض إسرائيل".

كما ذكرنا في مقالات سابقة، فإن البحث الأثري والتاريخي في منطقة جنوبي غربي آسيا عموماً، وفي بلاد الشام ومصر والعراق خصوصاً، بدأ خلال منتصف القرن التاسع عشر من قبل أغلب دول غرب وشمال أوروبا، من بريطانيا إلى ألمانيا وفرنسا وصولاً إلى الجنوب الأوروبي في إيطاليا. وقد تركزت هذه العمليات البحثية بعد العام 1860، وصولاً إلى يومنا هذا، والتي لم تتوقف، بالمناسبة، خلال الحربيين العالميتين الأولى والثانية بالرغم من محدوديتها، إلا أنها استمرت بشكل أو آخر وذلك دليل على أهمية الموضوع بالنسبة إلى العقل الغربي، ويدلل على أن مسار المعرفة، أو خلق المعرفة، حول "الشرق" بالنسبة لهم، أي الغرب، مسار مهم، ويأخذ أنساقاً مختلفة بحسب الوضع السياسي ربما، ولكنه يبقى نسقاً رئيسياً في المنظومة الاستعمارية والاستحواذ على الأمم الأخرى، ويتلون بحسب السياق السياسي المصلحي "البراغماتي" لهذه الدولة أو تلك.

من أهم ملامح عمليات البحث التاريخي والأثري في منطقتنا هي وجود مؤسسات ومراكز ومعاهد بحثية تمول عمليات البحث والتوثيق. جاء سير العمل أيضاً عبر عمل منهجي وعلمي بحت، منذ الخطوة الأولى وصولاً إلى الخطوة ما قبل الأخيرة، وهي عمليات التوثيق والكشف قبيل بدء عمليات التفسير والترجمات وما إلى ذلك من خطوات ترافق الحفريات الأثرية أو ترجمات المخطوطات والرُقُم الطينية والنقوش الكتابية الأثرية.

ومن أهم ما يميز دوائر البحث التاريخي والأثري في منطقتنا العربية تحديداً سيطرة العنصر اليهودي الغربي عليها، حيث شكل اليهود النسبة الأكبر منها، ليس فقط في العنصر البشري، بل في الدعم المادي لهذه المؤسسات "العريقة" من لندن إلى بروسيا الألمانية وصولاً إلى فرنسا والتشيك. أما العنصر البشري المسيحي فقد كان حجر الأساس في تبرير هذه العمليات "المعرفية" وتمويلها ودعمها من خلال صلاحياته التي أخذها بشكل أو آخر من الدولة العثمانية عبر رعاية مسيحي المدن العربية المختلفة وعبر سفاراته في الأستانة، أو عبر علاقات الدول كما حدث بين الإمبراطورية الألمانية والدول العثمانية خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر.

الملاحظة الأهم على كيفية سير هذه العمليات هو تلاصقها بشكل مريب مع الأطماع السياسية والواقع السياسي خلال حقب مختلفة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تاريخ تأسيس دائرة الآثار الفلسطينية عام 1920، والذي تزامن وتقرر بعيد المؤتمر السوري الأول الذي حضره مندوبون عن كل المدن العربية السورية من شمال سورية وصولاً إلى مدن لبنان والأردن وفلسطين، هذا المؤتمر الذي أكد على رفض تقسيم بلاد الشام وتأسيس دويلات جديدة متخيلة قاضمة أراضي سورية الكبرى لصالح كولونيالي بحت.

وهناك مثالٌ آخر هو تأسيس دائرة الآثار الأردنية عام 1923 كجزء من دائرة الآثار الفلسطينية، ومن ثم فصلها تماماً عن فلسطين وترسيخها كدائرة آثار أردنية عام 1928 في وجه دعوات رفض التقسيم والتأكيد على الوحدة العربية في وجه القوى الكولونيالية، إضافةً إلى محاولات تأسيس متاحف في كل من دمشق وحلب ودير الزور وبيروت والقدس، وأخيراً

وليس آخراً الأردن، كممثل رسمي للهويات الفرعية المصطنعة، أو كهويات قطرية بديلة عن الهوية الأساس، وهي الهوية العربية، ثم السورية.

النتاج العام لهذه المنهجية البنيوية لعمليات تحصيل، ومن ثم إنتاج المعرفة، أدت، فيما أدت إليه، إلى عمليات تزوير ممنهجة لمعطيات مادية حقيقية في كثير من الأحيان، لكنها، نتيجة العقلية الصهيو-مسيحية، ومن ثم الإمبريالية والكولونيالية، أدت إلى إنتاج قلعة كبيرة من المفاهيم والمصطلحات والسرديات المغلوطة بسبب عمليات التفسير الذاتية والتي صبت كلها في صالح كولونيالي معادٍ للتاريخ الحقيقي للأرض، فالحقائق على الأرض في الماضي والحاضر تثبت غير ما يقال من قبل علماء الآثار التوراتيين وغيرهم ممن يسيرون بحسب العقلية الغربية لعقدة نقص ربما أو لمصالح آنية.

درة التاج الصهيوني خلال تاريخها الماضي منذ بداية القرن العشرين، أي قبيل اغتصاب فلسطين العربية، هو السردية الصهيونية للأرض العربية في فلسطين وما حولها، وقد ساهمت المراكز الغربية والجامعات الغربية، بل وبعض البحاثة العرب، في هذه السرديات بشكل أو آخر، ونضيف إليهم بعض شيوخ الدين الإسلامي ورهبان المسيحية في تدعيم هذه الروايات بحجج واهية تضع الدين كجدار صلب في وجه كل منتقد لهذه الروايات للآسف!

تتعدد ركائز المشروع الصهيوني في فلسطين والوطن العربي، ولكنها في الحقيقة تجذب الكثير من اليهود الذين لا ريب في إيمانهم في مشروعهم الإجرامي، فلولا هذا الإيمان لما قدم ملايين الأغراب لأرضنا ولما قاتلوا وقتلوا على هذه الأرض، بعيداً عن الكره المنتشر في أوروبا ضدهم (بسبب عقيدتهم الفاسدة)، وبعيداً عن الأطماع الكولونيالية للقوى الغربية في أرضنا وتوظيف اليهود واليهودية كأداة قذرة لتنفيذ الجزء الرئيس لهذه الأطماع، ففي النهاية هناك ملايين اليهود وغير اليهود بالمناسبة (كثير من المتأسلمين) يفرحون لتنفيذ هذه المخططات حتى على حساب الكعبة والمدينة! وهذا ما تطلب وما زال يتطلب جهداً أكاديمياً وبحثياً كبيراً للرد على سرديتهم وقصصهم الخيالية التي تتعلق بتاريخ الأرض وهويتها، وقبل ذلك كشف هذا التزوير وممارسته العملية والنظرية في فلسطين وعموم الوطن العربي.

أثبتت حادثة مقتل "الباحث" زئيف في جنوب لبنان استمرار محاولات الكيان جمع المعلومات التاريخية عبر اللقى الأثرية أو العمارة القديمة والجغرافية التاريخية، فما حدث ليس ببعيدٍ عن تصريحات اليمين الصهيوني المتطرف القديمة-الحديثة حول "إسرائيل الكبرى" وإنتاج "شرق أوسط جديد". فالتبرير "الأخلاقي" للجمهور الغربي والعالمي يأتي عبر إثبات حق تاريخي مزعوم لهم في الأرض، ولو عبر تزوير هويتها التاريخية.

ولو افترضنا جدلاً أن التدمير المنهجي للبنية التحتية في غزة وجنوب لبنان جاء "كضرورة" عسكرية، من وجهة نظرهم، بسبب فشلهم في تحقيق انتصار عسكري حقيقي على قوى المقاومة في غزة وفي لبنان، وحتى في الضفة الغربية لفلسطين المحتلة، كتدمير الشوارع وشبكات الكهرباء والمياه والصرف الصحي والمستشفيات، لإجبار الغزيين والجنوبيين على الهجرة القسرية لإنتاج تطهير عرقي تلقائي بسبب عدم صلاحية هذه المدن والقرى والأحياء للحياة، فما هو مبرر تدمير المتاحف ودارات الثقافة ومستودعات اللقى الأثرية سوى محاولة التطهير التاريخي ومحو الذاكرة التاريخية لنا نحن العرب في لبنان أو فلسطين! أو حتى تدمير المساجد والكنائس الأثرية؟

حقيقةً لا يوجد مبرر عسكري أو سياسي، بل هو مبرر وجودي للكيان، والذي يتمثل في تزوير هوية الأرض حديثها وقديمها بشكل متواز، فهو يدمر كل ما يشكل رمزاً، ولو بسيطاً، للعنصر العربي الفلسطيني أو اللبناني، فتدمير ملعب أو حديقة تشكلت فيها ذكريات هذا الشاب أو تلك الفتاة يصنع جرحاً نفسياً لهؤلاء الأفراد، ومن ثم الجماعات السكانية التاريخية في المنطقة، بينما يحاول العدو الصهيوني محو الذاكرة الجمعية التي تعكسها العمارة من خلال محو الماضي والهوية التاريخية عبر تدمير أو سرقة تلك القطعة أو ذاك المبنى في غزة أو لبنان.

ولو نظرنا إلى تاريخ الممارسات الأثرية في المنطقة لوجدنا أنها تعيد نفسها لكن بأشكال مختلفة، وبنفس المحفز السياسي والأيديولوجي غربياً، حتى لورنس العرب أصبح عالم آثار وبحاثة، والحاخام نيلسون كلوج، والذي كان أيضاً ضابطاً في

المخابرات الأمريكية، وضع نظرية الفراغ الحضاري في الأردن الذي أعتبره أرضاً بلا شعب، كما اعتبر فلسطين أرضاً بلا شعب، وبالتالي وصلنا إلى هنا. هذا ما يمثل تداخل الواقع السياسي، وحتى الاجتماعي السياسي، مع ممارسات علم الآثار بحد ذاته.

ما يخيفنا في موضوع الممارسات الأثرية في الوطن العربي هو الممارسات المحلية التي تتماهى مع الفكر والمصالح الغربية، وأشهرها نظريات فاضل الربيعي الذي يهمش القدس وكل فلسطين لصالح توراتي وضيع، كما يؤدي إلى تشتيت التركيز عن الهوية العربية لفلسطين باتجاه جهود توراتية كولونيالية في شبه الجزيرة العربية واليمن السعيد، فبعيداً عن تفنيد سرديته الهشة، تصب فرضيات الربيعي سياسياً في صالح الصهيوني، كما تصب الممارسات الأثرية في شبه الجزيرة العربية الآن، في نجد والحجاز، بل وفي الإمارات العربية المجتزئة من سلطنة عُمان حديثاً بالمناسبة، في صالح شطب الهوية العربية هناك وتهميشها لصالح هويات جهوية وهويات "أنثروبولوجية" وضيعة، لن ندخل في طرح ما يحدث هناك بسبب المشاريع المشبوهة على ساحل البحر الأحمر وفي صحراء الإمارات، ولكن نشير هنا إلى أن الأمور تتجه إلى الأسوأ بسبب سياسة التبعية بل العداء للهوية العربية في كثير من الدويلات العربية عن قصد أو غير قصد. ولا نفتي في ذلك، ولكن من يتمسك بطرح "الطموح الفارسي أو التركي" لا يجوز له أن يتناسى الأطماع الغربية أيضاً!

أما ما حدث في قرية شمع الصامدة إثر مقتل المغتصب الصهيوني زئيف، فهو مضحك حقيقةً وصدفةً تظهر حقيقة أن الأساس في مقاومة الاحتلال هو السلاح وهو حجر الأساس في بناء خطاب مقاوم ومضاد للاحتلال، فبكل وضوح يمكن القول بأن الرد على منهج علم الآثار التوراتي بشكل قوي ومساوٍ لطروحاته، يحتاج إلى بنية تحتية أكاديمية ومعرفية منبثقة من دولة أو كيان منظم وممول وصاحب قضية حقيقية، أي أن الرد على علم الآثار التوراتي وما أنتجته خلال أكثر من 150 عاماً مضت يتطلب تشكيل مدرسة ومنهج والكثير من المعاهد والجامعات لإنتاج خطابٍ، لا سردية، لإنتاج حقيقة، لا قصة مضادة. وهذا لا يعني عدم الرد أو محاولة إنتاج جزء أو "فرشة علمية" للرد عليهم، وهذا ما فعله الكثير من العلماء العرب وغيرهم من أجانب، بل هو وضع نقاط على حروف الحقيقة والواقع.

وبالرغم من ما ذكر سابقاً حول قوة العمليات البحثية التوراتية والغربية عموماً في وطننا العربي، وفي فلسطين بشكل أكبر، فهي بالرغم من ذلك لا تزال ضعيفة بالرغم من انتشارها على المستوى النخبوي والشعبوي، وتتهاوى أمام المكتشفات الجديدة دائماً أمام عظمة وقدم التاريخ العربي الطويل، فها هي حلب تثبت وجود أبجدية أقدم من أبجدية أوغاريت مما يشير إلى التواصل التاريخي والانتشار الحضاري المتواصل وقوته وأن ما يتم العثور عليه من لقى أثرية ونقوش وغيرها من مخلفات الماضي ما هو إلا بالشيء اليسير مما كانت عليه أرضنا وشعبها، كما يؤكد على التواصل الحضاري سكانياً في المنطقة بشكل لا ريب فيه وأن المنطقة لم تشهد فراغاً حضارياً في أي فترة من فترات التاريخ القديم أو الحديث.

خلاصة الأمر وحصاد الواقع يؤشر إلى أن الصراع شمل وسيشمل كافة المستويات النخبوية والشعبوية والحياتية لكل فرد وجماعة عربية، وهو صراع وجودي لا مناص، إما نحن العرب أو هم الصهاينة ومن صف في صفهم من عجم وعرب، إما أن نؤكد بالدم أن المستقبل لنا أو نسلم بالهزيمة. ولا ننسى أن كل النظام الرسمي العربي ليس إلا نتاج الحربين العالمية الأولى والثانية وهو نتاج كولونيالي بحت وكامل فلولا الغرب لما وجدت هذه الدول وعند مغيب شمس الغرب ستغيب معه هذه الأنظمة قولاً واحداً وستبقى الأرض والإنسان ذخيرة هذا الوطن الكبير فليس فقط فلسطين من بحرها إلى نهرها بل الوطن كاملاً من خليجه إلى محيطه بكل ما فيه من ذكريات وآفاق وآمال بكل ما قدمه من دماء ودموع.

المجد لمن قال لا في وجه من قالوا نعم
المجد لمن أمسك رسن العدو وروضه
المجد لمن قال هيهات منا الذلة وأقدم
المجد للراجمات والعبوات والمسيرات

طوفان الأقصى كنقطة انطلاق لتحرر عربي شامل

ميشيل شحادة

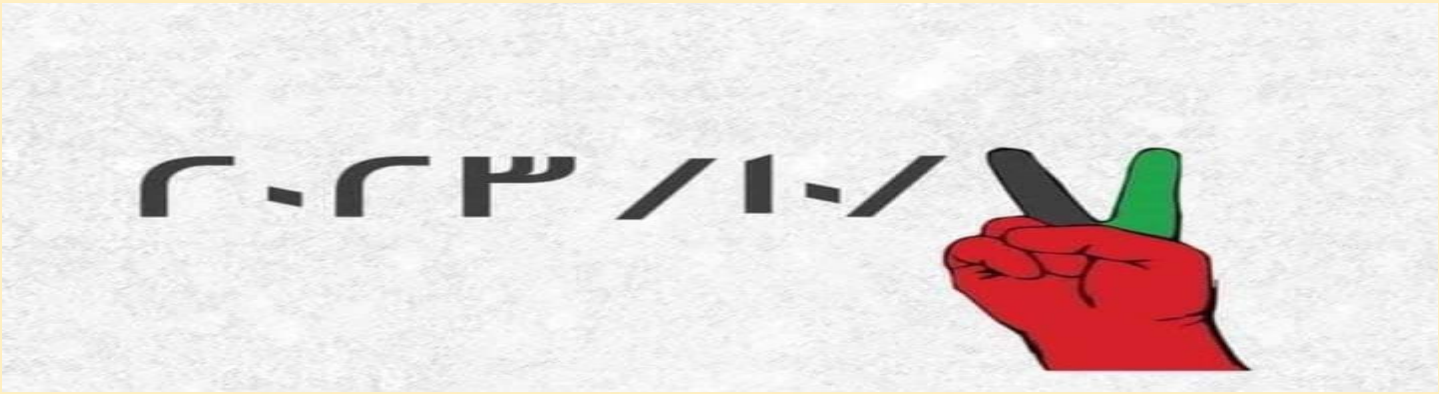

في مواجهة مساعي قوى الاستعمار الحديث لتطويق الإرادة العربية، ووسط تدخلاته المستمرة التي تهدف إلى إعادة رسم خريطة المشرق العربي وفقاً لمصالحه، تبقى القضية الفلسطينية رمزاً خالداً لنضال الأمة وصمودها أمام مشاريع الهيمنة الأجنبية.

تكشف المرحلة الحالية عن حاجة ملحة لمشروع تحرري يعيد للقضية الفلسطينية مكانتها المركزية، ويجعل من تحريرها خطوة أساسية على طريق نهضة الأمة وتحررها الكامل من سطوة القوى الإمبريالية.

إن التكامل بين قوى المقاومة الإقليمية والشعبية ووجود محور قوي للمقاومة يقود معركة "طوفان الأقصى" بعزيمة فريدة، يشكل فرصة لإعادة بناء مشروع تحرري يوحد الشعوب حول هدف تحرير فلسطين كجزء من معركة تحرر عربي شامل، تحقق فيه الجماهير العربية أهدافها التي تحلم وتكافح من أجلها.

النص التالي يطرح خارطة طريق عامة لإغناء النقاش الجاد والضروري حول السبل الممكنة لتحقيق استقلال الوطن العربي وتحرره في مختلف المجالات. كيف يمكننا تجسيد هذا الطموح وتحويله إلى عمل ملموس يحقق الكرامة والسيادة لشعوبنا؟

أولاً: القضية الفكرية لهذا التوجه

في التحليل الفكري للقضية الفلسطينية، ينبغي فهم النضال الفلسطيني كجزء من مواجهة أوسع ضد المشروع الاستعماري الصهيوني. هذا المشروع لم يسعَ فقط إلى احتلال فلسطين، بل إلى زرع كيان استيطاني وظيفي يمثل قاعدة إمبريالية غربية في قلب الوطن العربي، بهدف تفكيك الأمة العربية وإخضاعها لنظام عالمي قائم على الاستعباد والتبعية الاقتصادية والسياسية.

إن وجود كيان قوي مرتبط بالغرب في منطقة غنية بالموارد يضمن له السيطرة الكاملة على النفط والممرات المائية، ويعيق أي نهضة عربية تهدد مصالح الغرب الاستراتيجية.

بالتالي، القضية الفلسطينية ليست نضالاً محلياً فحسب؛ بل هي صراع وجودي للأمة العربية ضد قوى الهيمنة والاستعمار. كل خطوة لدعم المقاومة الفلسطينية تُعد جزءاً من عملية تحرر أوسع تشمل الأمة بكاملها. وعلى المستوى الثقافي، تقع على المثقفين العرب الوطنيين والقوميين المشتبكين مسؤولية تفكيك السردية الاستعمارية التي تقدم القضية الفلسطينية كصراع ديني أو عرقي، وتوضيح أنها مقاومة لمشروع استيطاني احلالي استعماري عنصري. هذا الوعي يساعد في بناء قاعدة فكرية تدعم الاستقلال وتضعف الهيمنة الاستعمارية، وتؤسس لفهم القضية الفلسطينية كجزء من كفاح عربي شامل.

ثانياً: القضية التنظيمية وآليات العمل

يمثل بناء تنظيم تحرري طليعي ذي هوية عربية شاملة تحدياً جوهرياً للمشروع التحرري، حيث يتطلب تنوع الثقافات والخلفيات السياسية في الوطن العربي هيكلاً مرناً يتكيف مع متطلبات كل قطر واحتياجاته، مع الحفاظ على الأهداف الكبرى. هذا التنظيم يحتاج قيادة جماعية كفء ومتفانية، تمتلك القدرة على تمثيل تطلعات الشعوب العربية المختلفة وتجنب النزاعات الداخلية.

كما ان إشراك الشباب العربي المؤمن بالتحرر كجزء من قيادة المشروع يعتبر أمراً حيوياً، ليكونوا عماداً لبناء مستقبل تحرري، وسيساهم تأسيس مجلس قيادي يمثل جميع الأقطار العربية في تعزيز شرعية التنظيم وتماسكه، ويمكن لهذا المجلس التنسيق بشكل دوري لضمان استمرار المشروع وصموده في مواجهة التحديات.

ثالثاً: الترابط الجدلي بين مركزية القضية الفلسطينية والقضايا القطرية

من الضروري تطوير برامج توعية تربط بين القضية الفلسطينية والمشاكل المحلية التي تواجهها الشعوب العربية، كي يشعر كل عربي بأن تحرير فلسطين جزء من نضاله اليومي في سبيل الحرية. على سبيل المثال، يمكن أن يُركز التنظيم

على تعزيز الوعي بين الشباب حول الآثار الاقتصادية للتطبيع مع الكيان الصهيوني، كونه يضر بالاقتصادات المحلية، ويزيد من تبعية الدول العربية للشركات الأجنبية الداعمة للاحتلال.

كذلك، على هذا المشروع أن يروج لمفهوم دعم فلسطين وإسنادها كامتداد طبيعي لمقاومة الظلم الاجتماعي والسياسي الذي يواجهه الشعب العربي في دوله، وأن ينظم فعاليات تظهر الترابط العضوي بين الحقوق الفلسطينية وحقوق الإنسان في باقي الدول العربية.

يمكن للتنظيم أن يعمل على تشكيل شبكات تعاون مع النقابات العمالية، والاتحادات الطلابية، والجمعيات النسائية، بحيث تصبح القضية الفلسطينية جزءاً من اهتمامات هذه الفئات في كل قطر، أي تعزيز الوعي العام من خلال الربط بين المقاومة الفلسطينية ومشاريع التنمية المحلية، ويعزز من حضور القضية الفلسطينية في حياة المواطن العربي اليومية.

رابعاً: أساليب العمل

يمكن تبني أسلوب الخلايا التنظيمية الطليعية المستقلة تحت مظلة واحدة مع استقلالية نسبية على مستوى كل قُطر، ما يمنح التنظيم مرونة عالية، ويتيح للأعضاء حرية الحركة بعيداً عن قيود المركزية التي قد تعيق سرعة الاستجابة. كما تساهم المؤتمرات الإقليمية والحوارات التي تضم ناشطين ومثقفين عرباً في تبادل الأفكار وتطوير مشاريع جديدة تربط القضية الفلسطينية بالقضايا الوطنية، سواء عقدت هذه اللقاءات افتراضياً أو فعلياً.

بناء التحالفات مع منظمات المجتمع المدني الوطنية، المستقلة سياسياً وعن التمويل الغربي، يعزز مصداقية التنظيم، ويتيح له الوصول لشرائح مجتمعية واسعة. كما يمكن ترتيب ورشات تدريبية لتطوير الكوادر، خاصةً في مهارات القيادة وإدارة الأزمات، لضمان جاهزية الأعضاء لمواجهة التحديات الأمنية والسياسية ودعم استمرارية المشروع.

خامساً: المحاذير والمخاطر التي يجب توخيها في التنظيم والعمل

العمل في مشروع تحرري بهذا الحجم يواجه تحديات عديدة تتطلب استجابة استباقية ذكية للحفاظ على استمراريته. أحد المخاطر الأساسية هي الشللية والانتهازية داخل التنظيم، حيث قد يسعى البعض إلى استغلال المشروع لمصالح شخصية، مما يستدعي فرض نظام رقابة داخلي صارم يعتمد على الكفاءة والمبادئ العامة لضمان وحدة العمل الجماعي. كذلك،

يشكل القمع السياسي تهديداً مباشراً، خصوصاً مع حساسية القضية الفلسطينية؛ لذا يجب تبني أساليب تحافظ على سرية الأعضاء، مثل التشفير واللامركزية، لضمان استمرار العمل رغم أي ضغوط.

ومن المخاطر التنظيمية أيضاً التسلط القيادي، حيث قد يميل بعض القادة إلى احتكار القرار. لمواجهة ذلك، يجب تعزيز القيادة التشاركية وتطبيق نظام دوري لمراقبة الأداء، لضمان ديمقراطية التنظيم ومنع الاستبداد. إن دعم هذا المشروع التحرري من خلال تنظيم قوي وجماهيري يسعى لاستعادة السيادة العربية، وإعادة بناء إرادتها الحرة، وتوحيد شعوبها في نظام عروبي يعيشون فيه بكرامة وعزة. إن مشروعاً كهذا يبدأ بدعم فلسطين وينتهي بتحقيق الحرية والكرامة لكل عربي.

سادساً: الأبعاد التاريخية والمعرفية في مواجهة القوى الاستعمارية

تطورت المواجهة مع الاستعمار من شكله التقليدي إلى ما يعرف بـ "الاستعمار الجديد"، الذي يتمثل في السيطرة الاقتصادية، والسياسية، والإعلامية. تسعى القوى الإمبريالية إلى إبقاء الوطن العربي في حالة تبعية من خلال سياسات تقسيمية، تدمير البنى التحتية، واستغلال الثروات. مع ذلك، فإن الوعي الجماهيري العربي بشأن هذه الأبعاد التاريخية والمعرفية بات يشكل أساساً مهماً لاستمرار المقاومة، سواء من خلال الحركات الشعبية أو التيارات الفكرية التي تدعو لإعادة بناء مشروع عربي يحقق الاستقلال الحقيقي.

في المجمل، تظل الأبعاد التاريخية والمعرفية في مواجهة الاستعمار حجر الزاوية لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، حيث إن الارتباط بين التاريخ، والهوية، والمقاومة يشكل دافعاً رئيسياً لتحقيق الحرية والنهضة في الوطن العربي.

سابعاً: الأبعاد الإقليمية والعالمية للقضية الفلسطينية وتحديات المشروع التحرري

دعم "طوفان الأقصى" والانخراط في مشروع تحرري عربي يمثلان تحدياً في ظل التعقيدات الإقليمية والدولية الراهنة، حيث تتراجع مركزية القضية الفلسطينية عند الدول العربية المطبعة، ومساعيها المحمومة لتطبيع الاحتلال في الوعي العربي. لذا، فإن بناء مشروع تحرري يتطلب تحليلاً دقيقاً للعوامل الإقليمية واستغلال التحولات الدولية، كتراجع الهيمنة الأميركية وتشكل نظام عالمي متعدد الأقطاب مناهض للهيمنة الغربية، ما قد يعزز دعم القضية الفلسطينية والتحرر العربي.

يعد وجود قوى داعمة للمقاومة كإيران ومحور المقاومة عاملاً مؤثراً في تعزيز النضال الفلسطيني على الصعيد الاقليمي. ويسهم الوعي المتزايد بقضايا العدالة وحقوق الإنسان عالمياً، وانكشاف السردية الغربية المضللة، وطبيعة الكيان الصهيوني الفاشية في فتح باب للتضامن بشكل متزايد مع فلسطين، مما يستدعي تكثيف الحملات الإعلامية والتعاون مع منظمات حقوق الإنسان، وتعزيز الحركات التضامنية، لفضح انتهاكات الاحتلال وتعزيز الدعم العالمي للقضية الفلسطينية. كما يجب الاستفادة من صعود قوى عالمية تُنافس النفوذ الأميركي، مثل مجموعة "بريكس"، لإعادة ترتيب المعادلات لصالح حركة التحرر العربي.

ثامناً: إمكانيات التمويل ودعم المشروع التحرري العربي

يمثل التمويل عصب نجاح واستمرارية أي مشروع تحرري، إذ لا يمكن تحقيق الأهداف على نطاق واسع من دون موارد مالية مستدامة. وهنا تبرز أهمية الشعب العربي والمنظمات المساندة. يمكن للتنظيمات الشعبية إطلاق حملات جمع تبرعات على المستويين العربي والإسلامي، مع إنشاء صناديق دعم خاصة. كما يمكن للمؤسسات الصغيرة تخصيص جزء من أرباحها لدعم هذا المشروع. كذلك، يمكن للجاليات العربية والإسلامية في الاغتراب توفير دعم مالي ومعنوي ونشر الوعي عالمياً. ولكي ينجح هذا المشروع ويستمر، يجب وضع سياسة مالية واضحة إلى جانب باقي البرامج المعتمدة.

تاسعاً: توحيد الخطاب الإعلامي وأهمية الحرب الإعلامية

تشكل الحرب الإعلامية عنصراً حاسماً في دعم أي مشروع تحرري، لا سيما في مواجهة القوة الإعلامية الهائلة التي يمتلكها العدو الصهيوني وحلفاؤه، والتي تُستخدم لتزييف الحقائق وشيطنة المقاومة. بناءً على ذلك، يجب على المشروع التحرري العربي صياغة استراتيجية إعلامية فعّالة، تهدف إلى ضمان حضور القضية الفلسطينية بقوة على الساحة العالمية.

هذه الاستراتيجية تتطلب إنتاج محتوى مؤثر ومقنع بمختلف اللغات العالمية، إلى جانب تنظيم حملات تواصل اجتماعي لرفع مستوى الوعي ونقل صوت فلسطين بشكل مباشر إلى الشعوب حول العالم. يمكن تعزيز هذه الجهود من خلال التعاون مع القنوات المستقلة والمنظمات الحقوقية، التي تمتلك قدرة كبيرة على فضح انتهاكات الاحتلال وإبراز الجرائم المرتكبة بحق الفلسطينيين.

كما يتطلب الأمر تدريب كوادر إعلامية عربية مؤهلة لإدارة المحتوى الرقمي بفاعلية، مما يعزز القدرة على مواجهة الدعاية الصهيونية بمهنية وذكاء. ويكتسب هذا الجهد قوة أكبر عندما يُدمج الجمهور العربي، وخصوصاً الشباب، في هذه المعركة الإعلامية من خلال مشاركتهم النشطة عبر المنصات الرقمية، كما حدث في معركة "طوفان الأقصى"، حيث أسهمت تفاعلات الشباب العربي في إبقاء مشاهد الإبادة الجماعية في غزة، وبطولات المقاومة الاسطورية، حية ومؤثرة بشكل يومي في الوعي العام العربي والعالمي.

اليوم، ومع تزايد التحديات الداخلية والخارجية، تظهر الحاجة الملحة لتشكيل تنظيم جماهيري واسع قادر على استنهاض الطاقات الشبابية والشعبية لدعم المقاومة الفلسطينية، وجعلها حجر الأساس لمشروع تحرري شامل. هذه الدعوة موجهة إلى كل من يؤمن بأن فلسطين هي قضية العرب جميعاً، وأن الوحدة العربية والتحرر من الهيمنة هو السبيل الوحيد لتحقيق العدل والسلام والتقدم في المنطقة.

إن معركة تحرير فلسطين ليست خياراً بل واجباً مصيرياً على كل عربي، فالقضية الفلسطينية لا تخص الفلسطينيين وحدهم، بل هي معركة وجود للأمة بأسرها. هذه اللحظة التاريخية تتطلب منا وعياً حاداً وتكاتفاً حقيقياً ودعماً لا ينقطع من جميع شرائح المجتمع، فهي ليست مجرد رد فعل، بل نداء للنهوض وتحقيق الكرامة والسيادة في وطن عربي موحد. إن "طوفان الأقصى" ليس مجرد حدث عابر، بل فرصة ملحة لإثبات قدرتنا على الصمود أمام قوى الهيمنة وإعادة تعريف مصيرنا. اليوم، الآن، علينا جميعاً أن نتحرك، أن ندعم، وأن نكون جزءاً من هذا النضال العربي العظيم الذي لن يكتمل إلا بتحقيق الحرية لفلسطين، وللأمة كلها.

مراجعة كتاب: "طوفان الأقصى: قراءة في مشروعيته وسياقه وآثاره"، للدكتور إبراهيم علوش

مريم نصرالله

في السابع من تشرين الأول 2023، شهدت فلسطين والمنطقة والعالم تحولاً جذرياً في إطار الصراع العربي الصهيوني، حيث دخلت الأحداث إثر عملية "طوفان الأقصى" مرحلة جديدة تختلف عن كل ما سبق. لقد كان لهذا اليوم دلالات عميقة، أطلقت فيه غزة إبداعاً متفرداً ولد من رحم الألم، إعجازاً لم يكن مجرد رد فعل على الاحتلال، بل كان تجسيداً لمجموعة من العوامل التاريخية والجغرافية والسياسية التي تشكلت عبر عقود من الزمن.

وجدنا، على الرغم من ذلك، من يشكك في مشروعية العمل المقاوم ويقلل من أهميته وتداعياته التي فرضها على الواقع بقوة السلاح، ومن هنا جاءت سلسلة الدراسات "طوفان الأقصى: قراءة في مشروعيته وسياقه وآثاره"، للباحث الدكتور إبراهيم علوش، الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق في أيلول 2024، في ثلاثة وعشرين فصلاً امتدت على مدى 295 صفحة من القطع المتوسط، لتناقش كماً غزيراً من العناوين والمسائل ذات الصلة بهذا الحدث، سنتناولها بالتفصيل في معرض السطور التالية.

"مقدمة لا بد منها"

بمقدمة لا بد منها، يستهل الدكتور إبراهيم علوش قراءته مجيباً عن السؤال الأهم: لماذا طوفان الأقصى؟ موضحاً أن طوفان الأقصى لم يولد من العدم، بل هو رد عربي فلسطيني أصيل على تاريخ من الإجرام، يسلسله الكاتب منذ بدايته عام 1948 حتى يومنا، إذ خاضت غزة خمس عشرة حرباً ارتقى فيها آلاف الشهداء، سنوات فاضت بالمجازر وعمليات التهجير والغارات والهجمات، وسط حصار رهيب يجعل من غزة أكبر سجن مفتوح في العالم، فهل يصح بعد كل هذا أن يقال لماذا طوفان الأقصى؟

يختصر الكاتب ذلك قائلاً: "الأساس في الموقف من الاحتلال، أي احتلال، أن تكون العلاقة معه علاقة نفي متبادل وصراع تناحري، وأن يجري السؤال لماذا لم تحدث طوفانات أخرى أكبر وأوسع..."، مشيراً إلى البوصلة التي لم تخب يوماً من بدء الصراع: "كل من يقاتل العدو الصهيوني ندعمه، وكل من ينخرط في مشاريع تعايش وتسوية مع العدو الصهيوني ننتقده، وربما يضطر المقاتل إلى عقد الهدن أحياناً، أما الاعتراف بحق الكيان بالوجود فخط أحمر"، مرسلاً التحية إلى كل الكتائب المقاتلة في غزة اليوم وعلى رأسها القسام وسرايا القدس.

أسئلة جوهرية في المستهل

لماذا احتلت فلسطين؟ ما هي القضية الفلسطينية؟ تبدو هذه الأسئلة غير ذات صلة مباشرة بالحدث الراهن، وكثيراً ما تغيب عن الحوارات المتصلة بالشأن الفلسطيني، لكنها في الحقيقة، جوهر القضية وأساسها، يدرك علوش أهميتها فيفرد لها مساحة في صفحات الفصل الأول من الكتاب بعنوان "طوفان الأقصى وقحط الوضع العربي"، مؤسساً لنقطة البداية الضرورية لكل مقاربة في الشأن الفلسطيني، ومتناولاً إشكالية المقاربة الليبرالية للقضية الفلسطينية مشدداً على أن الانطلاق من أولوية الفرد لا من أولوية الجماعة القومية أو الحضارية يتركنا عزلاً في مواجهة من يتناولون المستعمر المستوطن كإنسان يجري التعدي على حريته وحقه في الحياة.

يجدر، هنا، التأكيد على قومية الصراع، وإن كان ذا بعد إسلامي وأممي أيضاً، ليتناول بعدها أبعاد الحراك الشعبي المساند لغزة في الوطن العربي والعالم الإسلامي والدول الغربية، حيث هبت الملايين في مستهل الطوفان رافعة راية فلسطين والمقاومة، فلماذا هبت، وعلى ماذا دل ذلك؟ تساؤلات يجيب عنها الكاتب في الفصل الثاني من الكتاب.

أما في الفصل التالي، فينبري الكاتب "دفاعاً عن ثقافة المقاومة ورداً على المشككين بالطوفان" مدافعاً عن وجاهة العمل المقاوم سياسياً ومفنداً ادعاء كون العملية مؤامرة محبوكة مع الاحتلال، كما يزعم البعض، وفي السياق، يسوق رداً على خطاب المحلل السياسي الروسي ألكسندر نازاروف، متسائلاً كيف للعدو أن يسمح بمقتل 1200 أو أكثر من جنوده ومستوطنيه واختطاف 200 ونيف منهم، ونزوح 250 ألفاً، بالإضافة إلى انهيار منظومته العسكرية والأمنية في ساعات، كي ينفذ مؤامرة تهجير الغزيين بالتواطؤ مع حماس؟!

"هل جاء تدمير مباني غزة رداً على طوفان الأقصى؟" يفتتح علوش الفصل الرابع من قراءته بهذا السؤال وينطلق "نحو فهم تاريخي لتدمير مباني قطاع غزة"، موضحاً الهدفين اللذين ينشدهما العدو من سياسة هدم المنازل التي يتبعها، وهما إفراغ فلسطين من أهلها ورفع تكلفة العمل المقاوم، أما من حيث الخيارات الاستراتيجية التي يقف أمامها الفلسطينيون، فيعدد ثلاثةً: الرضوخ، الاسترضاء، أو المقاومة، وهنا زبدة الكلام.

طوفان الأقصى والميدان

عن الميدان، يتحدث د. علوش مشيراً إلى أن معركة غزة الميدانية ما زالت في بداياتها، خاصة مع استمرار المقاومة بدك المستوطنات بالصواريخ يومياً، مركزاً على أن توغل العدو براً في القطاع وتغلغل قواته عبره لا يعني أنه تمكن من احتلاله، فطبيعة المعركة في غزة عسكرياً مختلفة تماماً عن باقي المعارك، إنها قتال بين جيش نظامي يمتلك أحدث ترسانة أسلحة يمتلكها الغرب الجماعي وبين حركة مقاومة محدودة الموارد وتستند إلى حاضنة شعبية مفقرة ومحاصرة، وهنا لا بد أن نتذكر حرب الريف في المغرب التي تركت أثراً عظيماً في تجارب حروب العصابات ووعي قادتها.

ومن تجربة مقاومة غزة نستقي دروساً إضافية، طاقة الشعب المعبأ المتحد في مقاومته، وقوة النفق معلماً من معالم حرب غزة، وفي استراتيجية الاحتلال العسكرية يبتدئ الفصل السادس، الأهداف التي يسعى العدو إلى تحقيقها، هل تصلح أدواته العسكرية لذلك؟ وما التكلفة؟ يستند الكاتب في قراءته على تقرير لمؤسسة راند الأمريكية عام 2014 الذي أشرف عليه عدد من الخبراء، إذ يستنتج أنه لطالما كانت استراتيجية العدو هي "احتواء غزة"، لكن هل نجحت؟ أثبت طوفان الأقصى بما لا يدع مجالاً للشك فشل هذه الاستراتيجية، إذ طورت المقاومة قدراتها إلى مستويات مذهلة في ظروف الحصار، لذلك كان لا بد من الهجوم البري واسع النطاق، فكانت عملية "سيوف من حديد"، ذات الدلالات التوارتية، وهنا اعتمد الكيان الصهيوني استراتيجية جديدة، فما هي؟ يورد علوش في معرض إجابته عدة تقارير توضح أن "الرد غير المتناسب" هو المبدأ المتبع صهيونياً في غزة ولبنان وسورية وفي كل مكان اليوم.

في جبهة لبنان الشمالية، يقرأ قواعد الصراع ويحلل فيما إذا كانت ستشتعل الحرب على الجبهة وكم سينخرط الأمريكي فيها، متوقعاً أن الحرب الشاملة على الجبهة الشمالية خيار متأجج، وتستهدف تدمير البنى التحتية للمقاومة وتأمين المنطقة الواقعة بين "الخط الأزرق " ونهر الليطاني بقرار دولي بعد اجتثاث المقاومة منها، وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ صدور الكتاب يسبق العدوان الصهيوني على لبنان.

يفرد الكاتب بعدها فصلين كاملين يتناول فيهما عناوين بغاية الأهمية مذ دخول صنعاء على خط نصرة غزة، بدءاً من أثر خطوة الاعتراض اليمنية في البيئة الاستراتيجية لباب المندب، أريتيريا، والتنسيق الإماراتي في جزيرتي ميون وعبد الكوري اليمنيتين، وصولاً إلى جيبوتي والصومال والعدوان الأنغلوساكسوني على اليمن، موجهاً كل الدعم لليمن العظيم في مواجهته، ومؤكداً أن الصراع مع الإمبريالية الأمريكية نتيجة حتمية للصراع مع العدو الصهيوني، وهنا يصبح الشعار اليمني "الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل" شعاراً شعبياً عربياً وإسلامياً وعالمياً بعد أن أثبت الأداء اليمني صدقيته، أما لماذا عاد باب المندب إلى واجهة الاهتمام دولياً فهو السؤال الملح الذي يبرز في خضم عناوين الفصل الحادي عشر بعنوان "عواصف البحر الأحمر والعربي في سياق الصراع الدولي"، حيث تتخذ الولايات المتحدة التجارة الدولية رهينة لتنفيذ أجندتها الضيقة، موظفة حملة إعلامية تهدف لإثارة الذعر بشأن الملاحة في البحر الأحمر، في ابتزاز واضح لمصر ولغيرها من الدول المشاطئة للبحر الأحمر إثر رفضها الانخراط في "حلف الازدهار" ضد اليمن، فما الأثر الاقتصادي لهذه الحملة؟ وما المفاصل الأربعة التي تتحكم بحركة التجارية العالمية بحرياً وما هي البدائل التي يتم البحث عنها؟ جميعها أسئلة يجيب عليها الدكتور علوش باستفاضة في معرض فصول الكتاب.

وفي منتصف الرحلة عبر صفحات "طوفان الأقصى"، نصل إلى إيران فنتحدث عن الصبر الاستراتيجي وما إذا كانت إيران قد خرجت من عباءته فعلاً، ونضع المنظومة الرسمية العربية في الميزان الغزاوي، حيث تمثلت المهزلة في بيانات الشجب والاستنكار واستعراض المساعدات الإنسانية ومناشدة الغرب الجماعي وقف إطلاق النار مع ترك بعض المنافذ لتنفيس الاحتقان الشعبي العربي، وهنا يستعرض الكاتب بالتفصيل الأوراق التي يمكن توظيفها من قبل هذه المنظومة لو توفرت الإرادة السياسية ومنها ورقة النفط والغاز، التطبيع، فتح معبر رفح، وورقة الشارع العربي الذي يغلي، وتبديل التحالفات الدولية باتجاه روسيا والصين، مع تعزيز العلاقات مع دول محور المقاومة، والتلويح بإيصال السلاح والمال للمقاومين .

كلمات على الهامش

بابوا غينيا الجديدة والمغزى السياسي المتصهين لافتتاح قنصليتها في الضفة الغربية، خط التجارة العربي كغطاء لرفع الحصار اليمني عن العدو الصهيوني الذي يستحق تسمية خط التجارة العبري، والقومية العربية منه براء، وحقيقة الخلاف المزعوم بين إدارة بايدن وحكومة نتنياهو بشأن غزة، ثلاث كلمات على هامش اللحظة الغزية الراهنة يشرحها الكتاب في فصله الرابع عشر ثم ينطلق إثرها ليقول إن دولاً تحت مظلة سنتكوم لا ترتجى منها نصرة لغزة، حيث كشف تقرير في موقع أكسيوس عن لقاء جمع رئيس هيئة أركان قوات الاحتلال الصهيوني، هرتسي هليفي، مع قادة كبار من جيوش البحرين والسعودية والأردن ومصر، في سياق التأكيد على استمرار الحوار والتعاون العسكري بين دول عربية و"إسرائيل" تحت مظلة سنتكوم، أي القيادة العسكرية الأمريكية المركزية.

استمرار الحرب والاقتصاد الصهيوني

هل يحتمل الاقتصاد "الإسرائيلي" حرباً مطولة؟ وإلى متى؟ على رغم أن الحروب المطولة هي العامل الداخلي الذي يستنزف اقتصاد الكيان الصهيوني، يتباهى الصهاينة وداعموهم، يقول د. علوش، بمعجزة الاقتصاد "الإسرائيلي"، ويقفزون عن جملة من العوامل الخارجية التي خلقتها ورعتها وحمتها مثل ضخ الغرب الجماعي مئات مليارات الدولارات في نفخ تلك المعجزة، رؤوس الأموال والخبرات التي جلبها المستعمرون المستوطنون معهم من أوروبا إلى فلسطين المحتلة، فتح الاقتصادات الغربية والتابعة لها على مصراعيها للتبادل مع الاقتصاد الصهيوني، موسم هجرة الشركات الأمريكية الكبيرة في مجال المعلوماتية والتكنولوجيا المتقدمة في التسعينات إلى الكيان الصهيوني، والتأشيرة السياسية التي قدمتها اتفاقية أوسلو عام 1993.

لكن تبقى معضلة الاقتصاد الصهيوني بعد ذلك كله أن الطاقة الكامنة التي يختزنها في قمقمه الجغرافي-السياسي تظل محتجزة وغير قابلة للتحول إلى فعل أو مد جارف، اقتصادياً ومالياً، ما دام الوطن العربي والعالم الإسلامي رافضاً للتطبيع مع العدو الصهيوني، لكن الانفتاح عليه تطبيعياً يتيح له أن يحول من طاقته الكامنة المتقوقعة إلى إمبراطورية اقتصادية عظمى، ما يطرح وبشكل جدي، أهمية مناهضة التطبيع -ولا سيما اقتصادياً-التي باتت تشكل إحدى أهم جبهات الصراع الوجودي مع العدو.

أما طوفان الأقصى، فقد أغرق الكيان عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولن ينتهي فوراً من جراء هذه الخسائر وسيسارع الغرب إلى إنقاذه، والأهم في هذه اللحظة هو أن تراكم التكاليف الاقتصادية للحرب سيعزز الاتجاه الداعي لوقف إطلاق النار غزة في الكيان الصهيوني، كما أن استمرار الحرب يدخل الاقتصاد "الإسرائيلي" في دورة تآكل مع انخفاض معدلات نمو

الاقتصاد، وارتفاع العجز الحكومي، وتكاليف الحرب ذاتها، وشلل الشمال، وإفلاس آلاف الشركات إلى تخفيض التصنيف الائتماني ل"إسرائيل" من طرف الوكالات الدولية، وتبقى هجرة الأكاديميين والخبراء، وانسحاب الشركات التقنية العملاقة وقرار كولومبيا بوقف تصدير الفحم هي المؤشرات الأكثر خطورة على الاقتصاد "الإسرائيلي".

وهنا، يستعرض الكاتب أبرز محطات مقاطعة الشركات الداعمة للعدو الصهيوني وأثرها اقتصادياً وسياسياً باعتبارها أداة عزل للكيان واقتصاده، وأداة ضغط على الحكومات التي تطبع معه أو تدعمه، متناولاً تجربة مقاطعة ستاربكس وغيرها من الشركات الداعمة للعدو، ورداً على مزاعم إضرار المقاطعة بالاقتصادات الوطنية، يشرح أستاذ الاقتصاد في جامعة دمشق، أن للمقاطعة أثراً تنموياً على الاقتصادات المحلية والصديقة حيث تدعم رأس المال الوطني وتتيح تشغيل نسبة أكبر من القوة العاملة المحلية والصديقة وتدور نسبة أكبر من الأرباح في البلد وتسهم في رفع متوسط الدخل الفردي، إنها إذاً فرصة ثمينة لتنشيط الاقتصاد المحلي وتحسين الميزة التنافسية لمنتجاتها، عدا عن كونها واجباً أخلاقياً وقومياً ودينياً.

عن الحق والشرعية والقانون الدولي

في الفصل التاسع عشر من الكتاب، يتناول علوش موضوع "حل الدولتين"، فبعد أن جرى تجاهله من طرف من روج له إثر تأديته غرضه السياسي في تشتيت بوصلة القضية الفلسطينية 40 عاماً، عاد بقوة من يردد هذه المعزوفة من شرقي الكرة الأرضية إلى غربيها، ومن شماليها إلى جنوبيها، فما الدافع إلى ذلك؟ إنه ببساطة فشل الحملة العسكرية الصهيونية في تحقيق أي من أهدافها المعلنة في غزة، والتداعيات السياسية لامتداد المجزرة الصهيونية فيها، فالمطلوب هو "زرع أمل"، هذا ما كشفته رسالة قياديي المنظمات اليهودية-الأمريكية إلى الرئيس بايدن، المطلوب هو إلقاء طعم غربي للفلسطينيين وداعميهم والمتضامنين معهم من أجل تفكيك زخم المقاومة المسلحة وتيارها السياسي الذي اكتسح المشهد السياسي العربي منذ طوفان الأقصى.

وبشأن بيان المكتب الإعلامي لحركة حماس المعنون "هذه روايتنا... لماذا طوفان الأقصى؟" يرى الكاتب أن الساحة الفلسطينية تعاني من غياب لمشروع وطني فلسطيني على الرغم من اشتداد وتيرة المقاومة ذاتها، إنه غياب المشروع الواضح الذي يستند إلى بنية وبرنامج واضحين لتحرير فلسطين، حيث يشدد الكاتب على المطلوب من حماس الآن وفي هذه اللحظة: العودة إلى مشروع تحرير فلسطين كاملة في وثيقة رسمية، لا في تصريحات إعلامية لبعض ممثليها والناطقين باسمها فحسب، فعلى الجناح السياسي أن يقرر: هل تريدون أن تناطحوا السلطة الفلسطينية أم أن تقودوا مشروع تحرير؟ مرسلاً الدعم والمساندة لكتائب القسام وللأجنحة العسكرية الأخرى لكل الفصائل وكل مقاتل في الميدان من دون تحفظ.

ويضع الكتاب القرار الأولي لمحكمة العدل الدولية بشأن غزة في ميزان الصراع، إذ يقدم وجهة نظر قانونية في القرار تستند إلى رأي البروفيسور وليم بليك-وايت، أستاذ القانون في جامعة بنسلفانيا الأمريكية، أما ماذا يعني القرار بالنسبة إلى غزة الآن، وهل محكمة العدل الدولية طرف محايد، فيرى

الدكتور علوش أن القرار أتى ليحقق غرضاً محدداً في لحظة سياسية محددة وليس انقلاباً قضائياً تاريخياً كما يظن البعض، حيث أرادت الولايات المتحدة لهذا القرار أن يصدر كي تضغط على نتنياهو للتخفيف من تهوره وانسياقه خلف مشروع اليمين الصهيوني المتشدد، إذاً يمثل القرار بالضبط ما أرادت إدارة بايدن ومعها الغرب الجماعي من حكومة نتنياهو أن تلتزم به في "إخراج" العدوان على غزة، ولهذا جاء القرار في الصورة التي جاء عليها، فأين نقف من المحاكم الدولية والقانون الدولي؟ كان هذا العنوان الأخير في الفصل العشرين، والذي ذكّر فيه د. علوش القارئ بتاريخ القانون الدولي والشرعية الدولية الذي اعترف بحق الكيان الصهيوني في الوجود والحدود الآمنة على أرضنا المحتلة عام 1948 على الأقل، فهل هذا القانون الذي سنحتكم له؟

يتابع الكاتب في الفصل التالي: "الاعتراف الأوروبي ومحكمتا الجنائية والعدل الدوليتين: معنا أم علينا؟"، ويتناول مسألة اعتراف عدد من الدول الأوروبية بـ"دولة فلسطين"، كما يتحدث باستفاضة حول قرار المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية طلب مذكرات اعتقال بحق نتنياهو وغالانت، مؤكداً أن البعض يظن أن هذه الأحداث تمثل سابقة يجدر دعمها، لكن تلك الأمور تتطلب التروي، لأننا عندما نقبل بالمرجعيات الدولية وقوانينها ومحاكمها نضع أنفسنا في موقف ضعف وإدانة تلقائياً.

"قضية للنقاش في هوامش الخطاب الإعلامي المقاوم"

هذا كان عنوان الفصل ما قبل الأخير من الكتاب، الذي يناقش كيف سجل الخطاب المقاوم اختراقاً نوعياً بموازاة عملية "طوفان الأقصى"، فكان ما قبل 7 تشرين الأول ليس كما بعده، إذ شكلت المنصات والقنوات الداعمة غطاءً إعلامياً للمعركة، وأظهرت رسالتها فعالية استثنائية مقارنة بالخطاب الصهيوني الذي تبناه الإعلام الغربي والنفطي، تمثلت بزيادة حركة المرور في الصفحات المقاومة، ارتفاع درجة التفاعل، قوة موقفنا المقاوم، المدة التي يقضيها الزوار في تصفح المواد الداعمة مقارنة بالسابق، إضافة إلى درجة التجاوب مع الرسالة الإعلامية ودعوات المقاطعة مثلاً ومرات تحميل المحتوى ومشاركته، ورافق ذلك تطور ترافق مع تسييس جيل صاعد من اليافعين والشبان العرب مقابل عقود من التجهيل المنهجي المتصل بالقضية الفلسطينية، فباتت كلمة أبي عبيدة أو أبي حمزة مدعاة لحظر تجوال في بعض المدن العربية وازهر الفيديو القصير الذي ينتشر عبر الإنترنت كالنار في الهشيم، واتخذ كل ذلك طابع مبادرة جماهيرية انخرط فيها آلاف الشباب العربي، لا بد من الاعتراف ببعض الشوائب التي اعترتها، وخاصة تواتر رسالة التهجم على العروبة والعرب بجريرة تواطؤ بعض الأنظمة أو تخاذل بعضها، أو حتى تقاعس الشارع عن القيام قومة رجل واحد، ورغم أنه من المفهوم إدانة ذلك، إلا أن المعني الأول بالإدانة هو منظومة التجزئة بحد ذاتها، فمثل هذا الخطاب لا يخدم فلسطين ولا قضيتنا، بل هو خطاب شق الصفوف في لحظة المواجهة الفاصلة.

نحو حركة شعبية عربية منظمة

يطرح د. علوش في الفصل الأخير من الكتاب تصوراً عملياً لتشكيل حركة شعبية عربية منظمة تستثمر الزخم الشعبي الذي انتفض ثم عاد للركود في الكثير من الساحات العربية، إذ يضيف "ثمة حلقة مفقودة يمكن أن تحول الطاقة الشعبية العربية إلى دعم ملموس لنقاط الصدام العربية مع الاحتلالات وقوى الهيمنة الخارجية... هذه الحلقة المفقودة هي الإطار أو مجموعة الأطر التي يمكن أن تعبئ طاقات الشعب العربي وتوجهها لتحقيق المهمات الملقاة على عاتقه في الظروف التي نعيشها اليوم... فالمهمة المركزية الآن هي بناء شبكات غير مركزية عابرة لحدود التجزئة القطرية"، فكيف نبدأ بتأسيسها؟

يلقي الكاتب الضوء على بعض المقترحات القابلة للتطوير ويبين صفات هذه الحركة الشعبية العربية المنظمة التي يجب أن تكون لا مركزية، ومرنة تنظيمياً وأيديولوجياً، وذلك لتتيح استيعاب كل المبادرات والفعاليات الشعبية والعربية والأحزاب والمستقلين، وتتيح قطع الصلة مع أي حلقة يجري اختراقها، كما أنها تجنبنا الصراعات التاريخية الناتجة عن محاولة مصادرة الآخرين، وأن تكون عابرة للأقطار العربية، وذلك لإعادة الاعتبار لمفهوم الجماهير العربية، حشد القوى الشعبية لمواجهة تحديات عابرة للأقطار بطبيعتها مثل التطبيع، سحب الذريعة من أيدي الأنظمة العربية، تقديم نوع من الحماية والدعم المتبادلين للأطر والنشاطات المنضوية في الحركة، وأخيراً تأمين موارد مادية وبشرية أكبر بكثير مما يمكن تأمينه من قطر عربي واحد.

أما عن آلية عمل الحركة الشعبية العربية المنظمة، فيطرح الباحث وجود منصات حوارية مثل الصفحات الإلكترونية، المواقع الإنترنتية، اللقاءات عبر البرامج الافتراضية، والاجتماعات التنسيقية في الفضاء الحقيقي، ويعرض في هذا المنحى جميع منابر "لائحة القومي العربي" للخوض في مثل تلك الحوارات التي يجب أن تتخصص في ثلاثة مستويات:

1. المهمات قصيرة المدى للعمل على قضايا راهنة محددة مثل الاحتجاجات والاعتصامات والمحاضرات حول زيارة مسؤول أمريكي ما في المنطقة مثلاً،
2. المهمات طويلة المدى والتي تدخل في باب النشاطات الدائمة مثل مناهضة التطبيع ودعم المقاومة،
3. الحوار بشأن أولويات العمل في كل مرحلة، وبسقوفه وطرقه.

يقدم كتاب "طوفان الأقصى" للباحث الدكتور إبراهيم علوش طرحاً متوازناً وتحليلاتٍ مدعومةً بالوثائق، كما يتناول أهم الموضوعات ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالحدث، إذ يمكن القول في الختام أننا أمام عمل أكاديمي شامل يتناول بعمق الأحداث الجارية في فلسطين ويحللها من زوايا متعددة، حيث تبرز أهمية المقاومة كخيار استراتيجي في مواجهة الاحتلال، ويشدد على ضرورة فهم السياق التاريخي والسياسي الذي أدى إلى اندلاع "طوفان الأقصى".

إن التحليل الدقيق الذي يقدمه د. علوش حول الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للصراع، بالإضافة إلى دعوته لتشكيل حركة شعبية عربية منظمة، يفتح آفاقاً جديدة للنقاش ويدعونا جميعاً إلى الإسهام والمشاركة الفعالة في دعم القضية الفلسطينية على أسس صلبة وجذرية بتنا في أمس الحاجة إليها اليوم.

كلمات يمنية عامية مقارنة بأخرى بربرية

سعيد بن عبدالله الدارودي

لقد قسمت هذا المشروع إلى أربعة أقسام بسبب حجمه، وهو بحث منصب على المقارنات المعجمية بين اللهجات البربرية وغيرها من اللغات العُرُوبية، ولقد جعلت القسم الأول خاصًّاً باللهجات العامية في المشرق العربي، ونُشرته في العدد 95 من مجلة {طلقة تنوير} الرقمية تحت عنوان: "كلمات مشرقية عامية مقارنة بأخرى بربرية"؛ ولقد استثنيت العاميات اليمنية من القسم الأول حيث رأيت أنها وحدها تحتاج إلى قسم؛ فجعلت لها القسم الثاني وهو الذي بين أيديكم.

ومن أهم الكتب التي أخذت منها الكلمات اليمانية التي ذكرتها هنا هي ثلاثة كتب؛ كتاب {المعجم اليمني في اللغة والتراث، حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية} للدكتور مُطَهَّر علي الإرياني رحمه الله برحمته الواسعة وغفر له وأدخله فسيح جناته؛ والكتابان الآخران هما معجم لهجة سَرو حِمْيَر ـ يافع (وشذرات من تراثها)، والشائع من أمثال يافع، للدكتورعلي صالح الخُلاقي حفظه الله وأمدَّ في عُمره وأسبله بثياب العافية والصّحة.

يُعدّ الباحث والأديبُ مطهَّر بن علي الإرياني، من أوائل من أسهموا بفك رموز خط المسند الذي كان حرف الحضارة العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية، ناهيك بأنَّ الإرياني من الباحثين القلائل الذين انكبّوا على التراث اليمني

توثيقاً وتأريخاً وتحقيقاً وتحليلاً، وقد لا يعرف الكثير منّا أنَّ كلمات الأغنية الشهيرة "خطر غصن القنا"، التي غدت من التراث اليمني الغنائي الأصيل، هي واحدة من إبداعاته الشِّعرية.

أمّا الكاتب والباحث والمترجم الدكتورعلي صالح الخُلاقي أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة عدن؛ فهو مُختص بتراث إقليم شهير من أقاليم الجمهورية اليمنية ألا وهو إقليم يافع؛ وهو باحث غزير الإنتاج عالي الهِمّة أدرك مبكراً قيمة الوقت فاستغله فيما يُفيد الناس ويثريهم ويحفزهم. وعلى رغم انشغاله بتراث يافع إلا أنه أنجز ترجمتين مهمتين من اللغة الروسية إلى العربية هما كتاب {سقطرى.. هناك حيث بُعثت العنقاء}، وهو عن جزيرة سقطرى، والكتاب الآخر عنوانه {عادات وتقاليد حضرموت الغربية}.

ونبدأ في هذا القسم بنماذج معجمية من كتاب العلّامة الإرياني الموسوم بالمعجم اليمني في اللغة والتراث ـ حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية:

في البربرية تابجاوت: الدجاجة، وفي الدارجة اليمنية الأُبَّج: ضرب من اليمام كبير الحجم، واحده أُباج وأُبَّجة.

في البربرية إزدل: جَبُنَ، هاب وضعف. وفي الدارجة اليمنية الزَّدِل ـ بفتح فكسر ـ من الناس فهو: من يكون فيه بلادة وضعة فيتحمل الضَّرْب والإهانات.

في البربرية إدرف: أسرعَ في الشيء. وفي الدارجة اليمنية أَذْرَف يُذْرف إذْراف وَذَرْفة وإذْرافةً: سار وابتعد حتّى غابَ أو كادَ فهو مُذْرِف.

في البربرية تجا: الرائحة النتنة، والجيم هنا تنطق نُقطاً مُفخَّماً. وفي الدارجة اليمنية الجُوَّة: النَّتَن، والمُجْوِي: المنتن. يقال: أجْوَى الشيء يُجْوِي إجْواياً وإجْواية فهو مُجْوِي تُشمّ جُوَّته من بعيد.

في البربرية أورد محمد شفيق ـ في معجمِه ـ الفعل الماضي إزلم، بمعنى لَحَظَهُ، أي نظر إليه بمؤخرعينه من أحد جانبيه. وفي معجم الإرياني، زَنَّم: رأى، نظرَ.

في البربرية أغراو: الشريط من خوص مفتول ونحو ذلك. وفي الدارجة اليمنية أغراو: الحبال الرفيعة من الليف ونحوه، يُستعمل للخياطة، فتخاط به الغرائر والجوالقات ونحوها؛ مفردها: الغَرْو.

في البربرية تاغونت: المصيدة من الحِبال. وفي الدارجة اليمنية الغُوْنة: المصيدة من الحِبال.

في البربرية تامزازّالت، تامّازلا: التسابق. وفي الدارجة اليمنية المُزالَّة: التسابق، والمَزَلْ: مكان السباق.

في البربرية أكنتور: الثور يُتخذُ للفِحلة. وفي الدارجة اليمنية القَنْذَرَة: سنام الثور.

في البربرية أضو: الرائحة. وفي الدارجة اليمنية الضَّي: الرائحة الجميلة.

في البربرية أقلقول: الجمجمة. وفي الدارجة اليمنية القِلْقِلة: الرأس، الهامة.

في البربرية أكافال: الأَسْر. وفي الدارجة اليمنية الكَفْل: الإمساك بالهارب.

ونقدم إليكم تالياً أربع كلمات من لهجة العاصمة اليمنية صنعاء؛ الثلاث الأولى جاءت في كتاب (اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية)، لصاحبه زين بن علي عَنان؛ والرابعة، وهي كلمة الزرعوف، فقد جاءت في كتاب (مدونة مفردات ورموز الخطاب الصنعاني وآفاقها الاجتماعية والتاريخية)، لصاحبه محمد الشعيبي).

في البربرية إزغل: احترقَ غضباً. وفي لهجة صنعاء الزُغَل: الأحقاد.

في البربرية أدفّاس: القميص. وفي لهجة صنعاء المدفوس: القميص قد لُبِسَ مدّة يسيرة.

في البربرية إقرقر: وَشَى به. وفي لهجة صنعاء قرقرت في إذنه: أي أن الكلمة قد أثّرت فيه ولو لم يعمل بها.

في البربرية أژرغوف: الشعر الأشعث. وفي لهجة صنعاء الزرعوف: شعر الرأس القليل المجعّد.

وإليكم تالياً ثلاث كلمات من لهجة عَدَن:

في البربرية: إشمت: قَبُحَ. وفي لهجة عدن شمات: سيئ، رديء، قبيح.

في البربرية تيسيت، تاسيت: المرآة. وفي لهجة عدن المسياة: المرآة.

في البربرية. أزنجاري: اللون الأزرق. وفي لهجة عدن زنجالي: اللون البنفسجي.

وإليكم تالياً مفردات من لهجات العرب البَرْبَر مقارنة بأخرى من اللهجة اليافعية، وقد أخذتها من كتابي الدكتور علي الخلاقي المُشار إليهما في المقدمة:

في البربرية، أجحموم: الأسود. وفي لهجة يافع، الكَحْموم: الشديد السَّواد.

في البربرية، أصاض: الغول. وفي لهجة يافع، صَيَاد: الغول.

في البربرية، أمطّالسو: الحرير. وفي لهجة يافع، الطَّلَس: ثياب نسائية حريرية.

في البربرية، تاكرمويت: الرمح القصير. وفي لهجة يافع، المَقْرَم: الفأس الصغيرة.

في البربرية، إنفلس، إنفلز: المِسْمار. وفي لهجة يافع، الفَلْس: المسمار.

في البربرية، بَعا: الغنم (في لغة الصبيان ـ لهجة أوجلة). وفي لهجة يافع، بَعاع: الغَنَم (في لغة الصبيان).

في البربرية، أسرور: الظَّهْر. وفي لهجة يافع، سِرار الظَّهْر: فقرات العمود الفقري.

في البربرية، أمناس: المكان المستوي. وفي لهجة يافع، المنياس: مكان وجود الرمل الخشن المحبب.

في البربرية، إسّولّف: خبأَ الشيءَ. وفي لهجة يافع، لَفّ: خبأَ الشيءَ.

في البربرية، إهولهل: هَذَى، أي تَكَلّم بغير معقول لِمَرَض أو لغيره. وفي لهجة يافع، هَاوَل: هَذَى.

في البربرية، إفركض: مَحَصَ المذبوح بِرِجْلِهِ. وفي لهجة يافع، بَرْكَض: محص برجله في الهواء.

في البربرية، أكاو: العَطَش. وفي لهجة يافع، الكاوي: شدَّة الحَرِّ.

في البربرية، يسبرقوقس: نظرَ مُحَدّقاً، جذرها «برق». وفي لهجة يافع، بَرْقَق: نظرَ مُحَدّقاً.

في البربرية، أغروم: الخُبْز. وفي لهجة يافع، القُرْمة: القُرْص من الخبز الجاف.

في البربرية، أزاما: الرائحة النتنة. وفي لهجة يافع، الزِّيْمة: الجيفة.

في البربرية، أكاشاف، أكشوف: الفضيحة. وفي لهجة يافع، الكَشيفة: الفضيحة

في البربرية، إسّنانّ: الشَّوْك. وفي لهجة يافع، السِّنِّيْ: شجر له رؤوس حادَّة وخزها مؤلم.

في البربرية، أكسوم: اللحم. وفي لهجة يافع، الكسوم: الطعام بلا إدام.

في البربرية، إمضْي: ذاقَ الطعامَ. وفي لهجة يافع، تَمَضَّا: مضغَ الطعامَ.

في البربرية، أقّاد: الاستقامة. وفي لهجة يافع، قَديَّة: مستقيمة.

وإليكم بدايةً مفردات من لهجات العرب البَرْبَر مقارنة بأخرى من اللهجة الحضرمية:

في البربرية، أساراگ: الزُّقاق. وفي لهجة حضرموت، السَّرَك: الطريق.

في البربرية، إتّس، إطّس، إطّص: نامَ. وفي لهجة حضرموت، سَتْ: نعسَ، الستات: النعاس.

في البربرية، جغلّو، بوجغلال: الحلزون. وفي لهجة حضرموت، الجَغْلُول: البطيء الحركة.

في البربرية، أمودّو: الرِّحلة. وفي لهجة حضرموت، المِداد: رحلة الاستجمام مع الأصدقاء أو الأقارب.

في البربرية، تاكشنت: اليافوخ. وفي لهجة حضرموت، القشنينة: الرأس، الجمع: قشانين.

في البربرية، أُموغ: الرُّطُوبة. وفي لهجة حضرموت، المَغْمَغة: الرُّطُوبة.

في البربرية، أمنغيغ، أملغيغ: الجُمْجُمة. وفي لهجة حضرموت، ناغة: أعلى الجُمْجُمة.

في البربرية، أشم: اذهبْ، سِر. وفي لهجة حضرموت، شِمْ شِمْ: تُقال للحث على الإسراع في السير.

في البربرية، أهرتيف: الكلام المخلوط لا خير فيه. وفي لهجة حضرموت، الهَرْفَتَة: خَلْط الكلام.

في البربرية، أهرهور: الإسهال. وفي لهجة حضرموت، الهَرْهَرة: الإسهال.

في البربرية، أدغدوغ، تادّاغت: الإبط. وفي لهجة حضرموت، الدُغْدُغ: الإبط.

في البربرية، تيبار: الحِيَل. وفي لهجة حضرموت، البُوْرة: الاحتيال.

وإليكم تالياً مفردات من لهجات العرب البَرْبَر مقارنة بأخرى من لهجة منطقة إب:

في البربرية، إفرد: هَرَسَ، هَشَّمَ. وفي اللهجة الإبِّيَّة، فَرْتَتْ: هَشَّمَ، هَرَسَ.

في البربرية، قوشقوش: قطع الحطب الصغيرة (لهجة فجيج). وفي اللهجة الإبِّيَّة، قَشَواش: المتساقط من الأجزاء اليابسة من الحطب وأعواد الذُّرة.

في البربرية، إبعلال: الأمعاء. وفي اللهجة الإبِّيَّة، أمغال: الأمعاء، مفردها: مُغْل.

في البربرية، إنفس: رَشَّ الماء. وفي اللهجة الإبِّيَّة، نَفَش: رَشَّ الماء.

في البربرية، أعفيفت: النار. وفي اللهجة الإبِّيَّة، عَفِيْ: غلى الماءُ ونحوه من السوائل بفعل حرارة النار.

في البربرية، إفشر: تكبَّرَ. وفي اللهجة الإبِّيَّة، فَشَر: تكبَّرَ.

في البربرية، إسفلفل: استشاط غضباً. وفي اللهجة الإبِّيَّة، فَلْفَل: أثار غضب شخصاً ما.

في البربرية، أدندون: القطعة من الأرض غير الصالحة للزراعة. وفي اللهجة الإبِّيَّة، وَدِن: طرف الأرض المزروعة، وهو حد فاصل بين الأراضي المزروعة.

في البربرية، أغمّوس: الغِطاء. وفي اللهجة الإبِّيَّة، الكُمْسَاسِي: غِطاء وجه المرأة يكون حجابها عند خروجها من المنزل.

وإليكم تالياً مفردات من لهجات العرب البَرْبَر مقارنة بأخرى من لهجة منطقة المعافر:

في البربرية، أنخجوف: الأحمق. وفي الدارجة المعافرية، الأَخْجَف: البليد، قليل الفهم.

في البربرية، تيلي: الخيط. وفي الدارجة المعافرية، التَّل: خيط ذهبي يُطرَّز به الثياب.

في البربرية، أجدال: المَرْعَى. وفي الدارجة المعافرية، الأَجدال: قِطَع الأراضي الزراعية، مفردها جُدْل.

في البربرية، أمخلاوْ: الشَّديد الحماقة. وفي الدارجة المعافرية، المخلول: المختل العقل.

في البربرية، أركس: الخُفُّ يُلبس بالرِّجْل عامَّة. وفي الدارجة المعافرية، الرَّقِيْص: الحذاء، النعل.

في البربرية، إزگف: ارتشفَ، حسا. وفي الدارجة المعافرية، زَجَف: أكثر من شُرْب الماء ونحوه من السوائل من السوائل، والمصدر هو الزَّجْف والزَّجِيْف.

في البربرية، أشنكور: عُرْف الديك. وفي الدارجة المعافرية، الشِّنْقار: عُرْف الديك.

في البربرية، إفدّخ: شَجَّ الرأسَ. وفي الدارجة المعافرية، فَدَغ: شَجَّ الرأسَ.

في البربرية، قوشقوش: قطع الخشب الصغيرة. وفي الدارجة المعافرية، القَشاوِش: بقايا أعواد الحطب اليابس، مفردها: قِشْواش.

في البربرية، تاخروشت، تاغروشت: العَصَا. وفي الدارجة المعافرية، المَخْرُش: عَصَا معقوفة الرأس.

في البربرية، إرجي: الصَّخْرة. وفي الدارجة المعافرية، المَرْجي: الحَجَر المستطيل الذي يُستخدم لإغلاق فتحة الجدار أو غيره.

في البربرية، أمازير: السماد، الروث. وفي الدارجة المعافرية، المِسْر: ما يخرج من البئر من طين ورواسب.

في البربرية، إمّغْي: خَرَجَ النبات وطلع من الأرض بعد أنْ شَقَّها. وفي الدارجة المعافرية، مَغَى: نَزَّ الصديدُ وخَرَجَ.

في البربرية، تاناسيفت: البَدْر (القمر المكتمل). وفي الدارجة المعافرية، النَّاصِفة: ليلة النصف من الشهر القَمَري ويكون فيها القَمَر مُكتملاً.

في البربرية، تامايورت: البَدْر (القمر المكتمل). وفي الدارجة المعافرية، مَارَى الشيء: لمعَ وشَعَّ من صفاء لونه وشِدَّة بياضه.

في البربرية، إنبر: سارَ ليلاً. وفي الدارجة المعافرية، نبرت الفتاة: هربت من أهلها وتركت الدار.

في البربرية، أنشوف، أنجوف: السفيه، المغفّل. وفي الدارجة المعافرية، نَشَّف: هلوسَ، المُنَشِّف: المُهَلْوِس.

في البربرية، إنفر: سكبَ الماء. وفي الدارجة المعافرية، نَفَر السيل إلى الوادي: سالَ من الجَبَل حتى بلغ الوادي وسَقى المواضع الزراعية.

في البربرية، أفاگو: الرِّداء. وفي الدارجة المعافرية، الفَوْجي: نوع من ثياب النساء.

المراجع والمصادر:

* الشائع من أمثال يافع ـ د. علي صالح الخُلاقي.

* اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية ـ زين بن علي عَنان.

* المعجم العربي الأمازيغي ـ محمد شفيق.

* تكلم الأوجلية للناطقين بها ـ علي أحمد الخبولي.

* دليل مفردات لهجة وأمثال مدينة إب ومعانيها ـ محمد عبدالكريم المنصوب.

* في اللغة والتراث ـ حول مفردات خاصة في اللهجات اليمنية ـ مطهر الأرياني.

* مدونة مفردات ورموز الخطاب الصنعاني وآفاقها الاجتماعية والتاريخية ـ محمد الشعيبي.

* معجم أمازيغي عربي (خاص بلهجة أهالي فجيج) ـ علي السهلي.

* معجم في لهجة المعافر وتراثها ـ أحمد شرف سعيد الحكيمي.

* معجم لهجة سَرو حِمْيَر ـ يافع (وشذرات من تراثها) ـ د. علي صالح الخُلاقي.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

من التراث القومي: المقاومة من وجهة نظر قومية

عصمت سيف الدولة

(ننقل أدناه مقتطفات من مقالة "المقاومة من وجهة نظر قومية"، للدكتور عصمت سيف الدولة، كما وردت في مجلة "الآداب" في 1 كانون الثاني 1970)

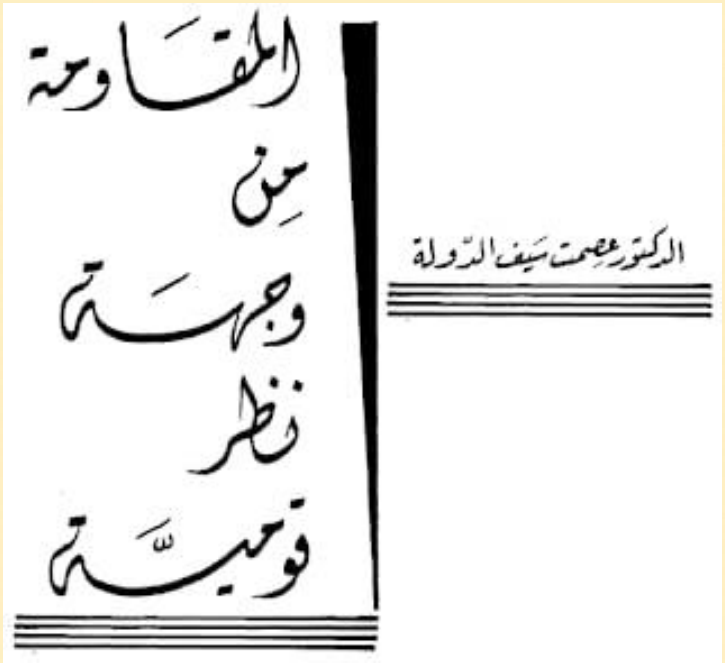

يمكن تلخيص المنطلقات الفكرية للنظرية القومية في جانبيها السلبي والإيجابي في أمرين:

1 ـ بما أن المجتمع العربي لا يتطور تطوراً متكافئاً مع إمكانياته إلا بحشد كافة إمكانياته لتطويره ككل، فإن الإقليمية تجسيد التجزئة فكراً وتنظيماً هي حركة رجعية فاشلة: رجعية لأنها تعوق التطور الاجتماعي في الوطن العربي، وفي أي جزء منه، تطوراً متكافئاً مع الإمكانيات العربية المتاحة، وفاشلة لأنها محاولة لإعادة الأمة إلى طور متخلف عن الطور القومي، وهو مستحيل بحكم حتمية التقدم الصاعد في حركة المجتمعات.

2 ـ أنه بحكم الوحدة الموضوعية للمشكلات القومية فإن أية مشكلة في أي مكان من الوطن العربي هي مشكلة قومية غير قابلة لأن تحل حلاً تقدمياً متكافئاً مع الإمكانيات العربية إلا من منطلق قومي بأداة قومية في إطار التقدم الاجتماعي لجماهير الأمة العربية ككل. وبالتالي فإن الحل التقدمي النهائي لكل مشكلات التقدم في الوطن العربي لا يتم إلا في ظل دولة الوحدة العربية الاشتراكية والديمقراطية.

إن هذا لا يعني أن كل جزء من الأمة العربية عاجز تماماً عن تحقيق بعض التقدم لجماهيره، ولكن يعني تماماً أن ما يتحقق في كل دولة إقليمية أقل بكثير مما يمكن أن يتحقق للشعب فيها في ظل الوحدة الاشتراكية والديمقراطية.

وأما عن الاستراتيجية فهي على أساس تلك المنطلقات الفكرية. تبدأ بالواقع وتنتهي إلى غايتها العظيمة "إقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديمقراطية". وبدءاً بالواقع العربي يمكن تقسيم استراتيجية الحركة العربية التقدمية إلى خمس مراحل:

المرحلة الأولى: الإعداد الفكري والبشري لقيام أداة الثورة العربية.

المرحلة الثانية: إقامة أداة الثورة العربية تنظيماً قومياً اشتراكياً ثورياً.

المرحلة الثالثة: اشتعال الثورة العربية التحررية الوحدوية الاشتراكية.

المرحلة الرابعة: إقامة دولة الوحدة النواة العربية الثورية.

المرحلة الخامسة: تصفية الإقليمية وإقامة دولة الوحدة الشاملة الاشتراكية الديمقراطية.

وطبيعي أن كل مرحلة من هذه تنطوي على مراحل تكتيكية لا داعي لحصرها الآن ولا يمكن التنبؤ بها مستقبلاً. المهم أن نعرف أن الحركة العربية التقدمية تعيش الآن في مرحلتها الاستراتيجية الأولى: مرحلة الإعداد الفكري والبشري لقيام الثورة العربية. وأنها من موقفها في هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفاً من أي حدث دولي أو عربي أو إقليمي، ومن كل القوى، والصراعات والحروب. وعلى ضوء مقتضيات هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفاً من الغزو الصهيوني ومن المقاومة.

فلننظر من هذه الزاوية ولنقدر الموقف العربي من الغزو الصهيوني بما فيه "المقاومة".

حقيقة الموقف القومي:

إن حقيقة الموقف من وجهة نظر قومية تتلخص فيما يلي:

أولاً: أن هناك غزواً صهيونياً لجزء من الوطن العربي يستهدف توطين اليهود عليه في دولة تمتد من الفرات إلى النيل. بدأ الغزو الصهيوني تسللاً قبل سنة 1948، ثم مسلحاً في ذلك العام، ثم ما تلاه من توسع حتى سنة 1967، وهو غزو في ظل دعم وتأييد الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: أن هذا الغزو موجه ضد الأمة العربية بقصد الاستيلاء على جزء من الوطن العربي، وأنه قد بدأ واتسع ونجح حتى الآن في غيبة أي قوة قومية. ذلك لأن التجزئة التي أقامها ذات الاستعمار المؤيد للصهيونية، والتي تجسدها الدول العربية الإقليمية، قد حالت، وتحول بين القوى المعتدية وبين القوى القومية المعتدى عليها بأن حرمت على الجماهير العربية أن تتصدى للدفاع عن وطنها بأداة قومية سياسية (دولة الوحدة)، أو بأداة جماهيرية (التنظيم القومي الثوري)، وأن الدول الإقليمية، على هذا الوجه، قد أسهمت وتسهم بقدرٍ في تغطية الغزو الصهيوني للوطن العربي.

ثالثاً: أنه في غيبة القوى القومية تصدت الدول الإقليمية لهذا الغزو في حروب دفاعية ثلاث على مدى عشرين عاماً، وانهزمت في كل مرة، بالرغم من تفوق إمكانياتها المتاحة، وأن المرجع الأساسي لفشلها هو أنها دخلت معركة قومية ـ أو أدخلت فيها ـ بذهنية إقليمية، من منطلقات إقليمية، بأدوات إقليمية، كانت غايتها أن تدحر خطراً يهدد سلامتها الإقليمية، ولم تكن لدى أية دولة عربية في أي يوم من الأيام إرادة تحرير الأرض العربية في فلسطين.

رابعاً: أن معركة 1967 قد أسفرت عن غزو الصهيونية لأجزاء من أقاليم بعض الدول العربية. وبذلك تغيرت طبيعة المعركة بالنسبة إلى هذه الدول، فأصبحت طرفاً أصيلاً في المعركة، فلم تقبل الهزيمة كما قبلتها في أرض فلسطين، ولم تقبل المفاوضة كما فاوضت على أرض فلسطين. وصمدت كما لم تصمد من قبل، وهي تعد العدة لحرب هجومية لأول مرة في تاريخها... كل هذا وهي تعلن وتكرر إعلانها بأن حدود معركتها هي إزالة آثار العدوان، أي تحرير أرضها، وليس تحرير الأرض العربية في فلسطين.

خامساً: الحقيقة الخامسة من حقائق الموقف أن قد أسفرت جولة يونيو سنة 1967 عن دخول الجماهير العربية طرفاً في القتال المسلح ضد الصهيونية في شكل منظمات فدائية، صمدت للقتال بينما القوى جميعاً منهارة، وتصاعدت مقدرتها حتى

فرضت وجودها على الأطراف التقليديين للمعارك السابقة: الصهيونية من ناحية، والدول العربية من ناحية أخرى. تلك المقاومة هي إحدى حقائق الموقف الراهن في الصراع ضد الصهيونية.

المقاومة من وجهة نظر قومية:

قلنا إن الحركة العربية التقدمية تمر الآن بمرحلتها الاستراتيجية الأولى وهي الإعداد لبناء أداة الثورة العربية تنظيماً قومياً تقدمياً ثورياً، وأنها من هذا الموقع تقيم وتحدد موقفها من الأحداث والقوى جميعاً. وعلى ضوء ما أوردناه في نقاط خمس من حقائق الموقف في الوطن العربي يمكن تلخيص النظرة القومية على الوجه الآتي:

أولاً: بالنسبة للغزو الصهيوني والإمبريالي فإنه يتناقض تناقض الحياة والموت مع الحركة القومية لأنه يستهدف الاستيلاء على ذات الأرض التي تستهدف إقامة دولة الوحدة العربية عليها، والقضاء على أي أمل في قيام حياة أفضل على الأرض العربية، وبالتالي فإن سحق "إسرائيل" وتصفية الصهيونية العالمية هي القضية الأولى والأساسية للنضال العربي.

ثانياً: أنه إذا كان ذلك الغزو قد بدأ واتسع ونجح في غيبة القوى القومية ـ الطرف الأصيل في المعركة ـ فإنه قابل للاتساع والنجاح طالما كانت القوى القومية بعيدة عن ساحة القتال، وأن التنظيم الثوري القومي الجماهيري والسياسي هو الأداة القادرة على سحق "إسرائيل" وتصفية الصهيونية.

ثالثاً: أن الدول العربية، كانت، وما تزال، وستظل، منفردة أو متحالفة، غير قادرة على تحرير فلسطين لسبب بسيط هو أن تحرير فلسطين يقع خارج نطاق أهدافها كدول إقليمية، وبالتالي فإن أي مخطط لتحرير فلسطين يجب أن يقوم بعيداً عن أية تبعية لأية دولة عربية سواء كانت تبعية سياسية أو تنظيمية أو مالية أو إدارية.

رابعاً: غير أن الدول العربية التي فقدت أجزاء من أقاليمها في حرب يونيو 1967 قد أصبحت طرفاً أصيلاً في المعركة إلى أن تزول آثار العدوان، ولهذا فإن الموقف القومي يتطلب دعم مقدرتها على الصمود وتنمية مقدرتها على القتال ودفعها إلى المعركة والحيلولة دون انسحابها منها أو استسلامها، ومع التحوط ضد ما تعلنه من أن حدود معركتها تقف عند حدود 4 يونيو 1967.

خامساً: أما عن المقاومة كأسلوب فذلك هو المدخل التاريخي لإنجاز المرحلة الاستراتيجية الأولى من مراحل الثورة العربية. فقد كانت الحركة العربية التقدمية تواجه صعوبات جسيمة تحول دون بناء تنظيمها القومي. وكانت في حاجة إلى مكان في الوطن العربي لا تمتد إليه قوانين وشرطة ومحاكم وسجون الدول الإقليمية. وكانت في حاجة إلى ساحة نضال تعبئ فيها قواها وتربي كوادرها وتخوض معاركها بعيداً عن رقابة أو وصاية أو تخريب الدول الإقليمية، وكانت في حاجة إلى تكوين جماهيري ثوري يتم ويقوم ويكتسب شرعية من مقدرته الذاتية على الوجود بعيداً عن جهود الدول الإقليمية. وكانت في حاجة إلى الوجود المنظم الذي يمثل الجماهير العربية ككل، ويحقق وحدتها القومية في ذاته، بدون اعتداد بالانتماء السياسي لأية دولة عربية.

كانت ـ باختصار ـ في حاجة إلى ممارسة أسلوب القتال الجماهيري المسلح الذي يكون السمة المشتركة بين منظمات المقاومة القائمة في الساحة الآن. الساحة التي هي مكان من الوطن العربي بعيد ـ فعلياً ـ أو يمكن أن يكون بعيداً عن قوانين الدول الإقليمية وشرطتها ومحاكمها وسجونها.

فكأن المقاومة من وجهة نظر قومية تمثل أفضل الإمكانيات المتاحة مرحلياً لبناء أداة الثورة العربية.

(...)

إنه مما يحير الفهم ألا يرى الشباب الذين بلغت ثوريتهم حد الفداء المأزق القريب الذي هم مساقون إليه. إن كل ما سمعناه تأييداً لشعار "مسؤولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين" هو أن عزل الشعب الفلسطيني عن قضيته طوال عشرين عاماً وتصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي أضاع فلسطين. ولا شك في أن عزل الشعب العربي من فلسطين عن معركة تحرير فلسطين وحبسه في مخيمات اللاجئين أحد الأسباب التي مكنت للغزو الصهيوني من أن يستقر فترات طويلة بدون مقاومة. ولا شك في أن تصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي أضاع فلسطين. ولكن ألا نتبين بوضوح أنه إذا كانت الدول العربية قد عزلت الشعب الفلسطيني من فلسطين في مخيمات اللاجئين وحالت بينه وبين القتال لتحرير الأرض المحتلة فإنها في ذات الوقت كانت قد حبست الجماهير العربية في حدودها الإقليمية وحالت بينها وبين القتال لتحرير الأرض المحتلة.

وقالوا: لقد انقضى عشرون عاماً ونحن مشردون ضائعون بلا وطن وبلا هوية، فنحن نقاتل من أجل تحرير فلسطين ليكون لنا فيها ما نفتقده من وطن وهوية. وهذا صحيح، ولكن ألا نتبين بوضوح أن الإقليمية العربية هي التي حالت دون أن يكون لكم وطن وتكون لكم هوية يوم أن اعتبرتكم، أنتم الذين تلقيتم منها الضربة الموجهة إلى الأمة العربية كلها، أجانب غرباء في بلادها؟ ألا نتبين بوضوح أن الإقليمية هي التي حاولت وتحاول دون أن يكون لكم في دولة الوحدة وطن وهوية؟ فلماذا لا تقاتلون في سبيل ما هو أسمى وأشمل، ولماذا تحاكمون القومية بما جنت أيدي الإقليمية؟ لماذا تصاغ المقاومة صيغة إقليمية فتصطنع بينها وبين الجماهير العربية حدوداً بدون أرض وهوية، بدون دولة، وتمييزاً بدون موضوع، لكسب الرأي العام العالمي من خلال فكرة "الدولة الفلسطينية الديمقراطية"؟

هذا حوار أفضل، ولكن هل جربتم كسبه من خلال فكرة "دولة الوحدة الديمقراطية"؟ الحق أنكم لا تكسبونه إلا بمقدرتكم على النصر. ومع ذلك فإنما نسعى إلى كسب الحلفاء والمؤيدين "للقضية" التي نكافح من أجلها والتي نعتقد أنها حق وعادلة. ولكننا لا نغير قضايانا من أجل كسب الحلفاء والمؤيدين. أفلا تعتقدون أن قضية "دولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية" أكثر حقاً وعدلاً من "قضية فلسطين الديمقراطية"؟

إننا نستطيع أن نستطرد إلى ما لا نهاية، ولكن الالتزام القومي يفرض علينا أن نؤيد وندعم المقاومة ككل، ونؤيد وندعم المقاومة الفلسطينية بوجه خاص. لأننا نتحدث ونحن مشتبكون في المعركة فلا يمكن أن نخذل المقاومة عموماً. ولأننا نعرف أنه عندما تنسحب القوى العربية الإقليمية من ساحة القتال على إثر إزالة آثار العدوان، لن تبقى في الساحة إلا المقاومة الفلسطينية التي ستقاتل إلى أن تحرر فلسطين، فهي حليف طويل الأمد نسبياً*، للقوى القومية تلك التي يمثلها الاتجاه الثالث (في المقاومة الفلسطينية).

هذا الاتجاه الثالث لما يتبلور بعد، وتتوقف بلورته على التعجيل بإقامة التنظيم القومي الثوري الذي تكون منظمته المقاتلة في ساحة المقاومة هي قوته الضاربة، وتتحرك تحت قيادته طبقاً لاستراتيجيته وفي حماية قواعده المنظمة على المستوى القومي.

كيف يتم هذا؟

إننا نعرف أن شباباً عربياً في صفوف المقاومة يحلم أحلاماً غير واقعية، وأن شبح "جيفارا" العرب يعبث بمخيلة كثيرٍ من شبابنا العربي. وأن "فلسفة النواة المسلحة" المعزولة عن الجماهير، غير المبلورة عقائدياً، التي تبني استراتيجيتها عن طريق التراكم التكتيكي، وتبني قاعدتها الجماهيرية من خلال المعارك، وتكون عقيدتها الثورية بعد أن تنتصر، هذه الفلسفة التي روج لها "ريجي دوبريه" تتداول في صفوف المقاومة. وأن أكثر من منظمة قد تعجلت فاختارت اسمها، ورسمت شعاراتها، ووضعت مواثيقها، ورفعت شعاراتها القومية، وهي تنتظر التحام الجماهير العربية حول قياداتها، اعتقاداً منها بأن هكذا يكون التنظيم القومي التقدمي الثوري. إننا نشفق على هؤلاء الشباب من خيبة الأمل المريرة التي سيعانونها، عندما يجدون أن الجماهير العربية، وإن كانت تعطف عليهم، لا تلتحم بهم، ونخشى أن ينزلقوا حينئذ إلى اتهام الجماهير بأنها لم تستجب إلى دعوتهم العجولة.

ويهمنا أن نقول إلى كل المناضلين الذين يمثلون هذا الاتجاه، ويتطلعون إلى أن يكونوا القوة الضاربة لجماهير أمتهم العربية، إن عبقرية "جيفارا" البطل كانت على وجه التحديد في استجابته لواقع الثورة في كوبا واختياره الأسلوب المناسب لها بدون تقيد بالأساليب التقليدية، وإن محصلة الخبرة من تجربة كوبا الناجحة هي أنها غير قابلة للتكرار بعيداً عن مثل الواقع الذي أفرزها.

إن تحرير فلسطين إحدى المهمات الأساسية للثورة العربية، ولكنها جزء من معركة التحرر العربي. ومعركة التحرر العربي ليست سوى مقدمة لوحدة الوطن العربي. وحتى معركة الوحدة ليست إلا جزءاً مكملاً لمعركة الاشتراكية. والنصر في كل تلك المعارك لازم لتحقيق الغاية النهائية: إقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديمقراطية، التي تقدم للجماهير العربية في كل مكان إمكانيات الحياة الأفضل. إن شروطها الخاصة لكي تقتحم المعركة، أن الجانب الأساسي من بناء التنظيم القومي الثوري يقع على عاتق القوى العربية التقدمية وليس على جانب المقاومة. وإن مسؤولية النصر في المعركة الدائرة ضد "إسرائيل" واقعة على عاتق تلك القوى. وهي إذ تتخلى عن مسؤولياتها لن تستحق إلا هزيمة أخرى، ولن يجديها حينئذ البكاء مرة أخرى كما بكت في يونيو 1967.

إن كتائب "أنصار" المعركة يجب أن تشكل في كل مكان من الوطن العربي لدعم المقاومة فكرياً ومالياً وبشرياً وسياسياً وعسكرياً تمهيداً للالتحام مع المقاتلين القوميين من خلال مؤتمر قومي ينبثق عنه التنظيم القومي الاشتراكي الثوري، عندئذ ستتحول المقاومة إلى أداة للثورة العربية قادرة على أن تستمر في المعركة حتى النصر.

تلك هي المقاومة من وجهة نظر قومية.

*افترض د. عصمت سيف الدولة أن الاتجاه القُطري، أو الإقليمي، الفلسطيني، المعني بتأسيس دولة فلسطينية، هو اتجاه معني بتحرير كل فلسطين، على عكس القوى الإقليمية الأخرى في الوطن العربي. وقد ثبت، منذ كتابة نصه المهم "المقاومة من وجهة نظر قومية"، أن الاتجاه الإقليمي في الساحة الفلسطينية معنيٌ بإقامة "دولة فلسطينية" أكثر بكثير مما هو معني بتحرير الأرض، وأنه مستعدٌ للتضحية بمعظم الأرض من أجل "الدويلة". ولا يقلل ذلك طبعاً من أهمية الربط الذي أقامه د. عصمت بين مشروع التحرير وبناء الأداة القومية، بل يزيده راهنيةً ومصداقيةً.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96 ـــــدد
01 كانون أول 2024

الصفحة الثقافية: "سباق المسافات الطويلة" لعبد الرحمن منيف

طالب جميل

يعتبر عبد الرحمن منيف أحد أبرز الروائيين العرب في القرن العشرين، فقد ولد في عمّان عام 1933 لأب سعودي وأم عراقية، حاصل على شهادة الدكتوراه في اقتصاديات النفط، وقد عمل وعاش في عدة مدن عربية دمشق، بيروت، بغداد قبل أن يغادر الى فرنسا، وتوفي في دمشق في عام 2004 تاركاً خلفة إرثاً أدبياً مهماً، ومن أشهر أعماله الروائية "الأشجار واغتيال مرزوق، النهايات، قصة حب مجوسية، شرق المتوسط، مدن الملح، أرض السواد".

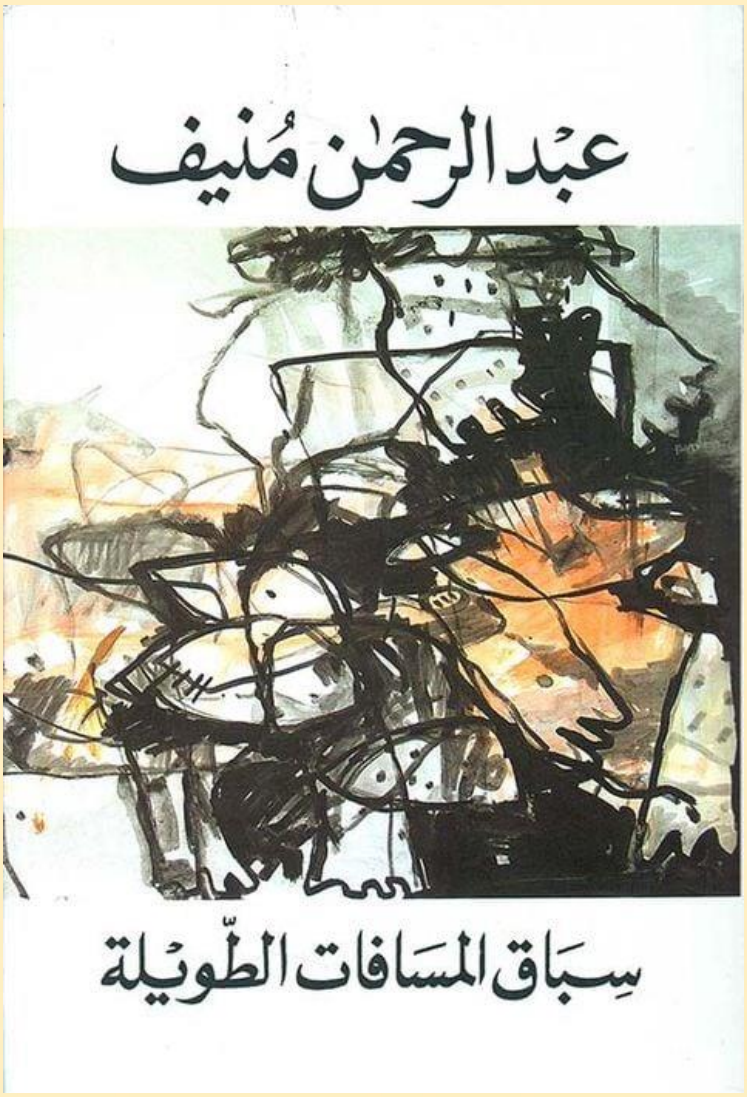

"سباق المسافات الطويلة" هي أيضاً من أبرز أعماله، لكنها لا تشبه أياً من أعماله الأخرى فهي تعتمد اعتماداً مباشراً على الوثيقة المستندة إلى التاريخ، وتركز على الشخصيات أكثر من تركيزها على الحبكة أو العقدة، ولا تأخذ مسارها السردي بشكل تقليدي مثل باقي الروايات، فحركة الشخصيات تغوص وتذوب ضمن الحدث التاريخي الذي تقوم عليه الرواية.

الفكرة الرئيسية التي تدور حولها الرواية هي سيطرة الإمبراطورية البريطانية الهرمة على الشرق من خلال الدسائس والمؤامرات كعادتها، فالعجوز "راندلي" يرسل مبعوثه إلى إحدى دول الشرق في مهمة إعادة السيطرة المهتزة للإمبراطورية بعد وصول رئيس حكومة يسعى للتخلص من هذه السيطرة. أما المبعوث "بيتر" فيقضي مهمته الطويلة في مراقبة ما يجري وصياغة مجموعة تحالفات بناء على توجيهات قيادته لتحقيق الهدف المنشود.

"بيتر" هو البطل والراوي الذي يظهر أكثر من باقي شخصيات الرواية، والذي يحاول قراءة الشرق وأهله والتأمل في عاداتهم وسلوكهم ونظرتهم للأشياء، حيث يصف هذا الشرق بالغامض، لكنه يبدي إعجابه الدائم بإنجليزيته فيقول "نحن الإنجليز نشبه النمل في أمور كثيرة: المثابرة، الإصرار، العمل الدؤوب، النظام... وماذا أيضاً؟ إننا نعرف ما نريد، وهذه ليست ميزة لنا فقط، إنها تعطينا تفوقاً ساحقاً على الآخرين. لو أننا انفعلنا في جو العنف والتحدي الذي كان يسود خلال الفترة الأولى لحزمنا أمتعتنا منذ وقت مبكر ورحلنا لكننا لم نفعل، كنا مستعدين للانتظار لفترة طويلة، ليس الانتظار الأبله، وإنما الانتظار الواعي المرتبط بالعمل".

في واقع الحال، وحسب ما أكد كثير من النقاد بأن هذه الرواية تناولت مذكرات كتبها المبعوث البريطاني "بيتر ماكدونالد" في إيران بعد قرار تأميم النفط، في محاولة لاستعادة السيطرة وزمام المبادرة مرة أخرى، وتحصين المكاسب البريطانية التي كانت تستولي على النفط الإيراني بالتفاوض مع المعارضة وإثارة الفتن ضد الحكومة الوطنية، في نفس الفترة التي تواجد فيها مبعوثو الولايات المتحدة الأمريكية".

"من يملك الشرق يملك العالم"، بهذه الجملة كانت افتتاحية الرواية التي تحمل دلالة واقعية كبيرة فالصراع في الشرق وعلى الشرق صراع مستمر، ودوران القوى الاستعمارية حول الشرق ما زال شغلها الشاغل.

وفي افتتاحيات الفصول الأخرى من الرواية استشهد بمقولات للضابط والباحث البريطاني "لورنس" منها: "النصر مع الإخلال بالوعد أفضل من الهزيمة".

ومقولة لرئيس وزراء بريطاني: "ليس لبريطانيا أصدقاء دائمون وليس لها أعداء دائمون وإنما لبريطانيا مصالح دائمة".

في ذلك الشرق عاش المبعوث "بيتر ماكدونالد" أحداثاً سياسية متقلبة، تابع من خلالها انهيار سلطة الإمبراطورية التي طالما اعتبرت السيطرة على الشرق رمزاً لقوتها، بعد أن روض طاقماً استخباراتياً براغماتياً بأهداف مختلفة: " شيرين النمرة الشرسة، عباس، ميرزا، شرف آية الله" عمل على تأسيس "منظمة الدفاع عن الوطن" ثم اختار لها عناصر من المتطرفين المعروفين بشدة تعصبهم ساهمت في خلق وضع جديد على مستوى البلاد.

ورغم أن العميل بيتر ظل يحذر لندن من الوجود الأمريكي في الشرق باعتباره منافساً شرساً لأهداف الإمبراطورية، وقدرته الكبيرة في التأثير من خلال المساعدات ودعم التحالفات الخفية مع بعض عناصر الجيش ومع بعض الصحافيين والفنانين، ولم تستثنِ المساعدات الأمريكية رجال الدين وبقوة ونعومة هادئة، فقد كتب بإحدى رسائله: "الأمريكيون قادمون، سوف يحرقون كل شيء... يجب أن نعترف بهذا ويجب أن نتصرف على ضوء هذه الحقيقة". لكن لندن ظلت تؤكد بمختلف الوسائل أن مصالح مشتركة تجمع بين بريطانيا والولايات المتحدة طالما أن الهدف واحد.

الجزء الأعظم من الرواية كان مخصصاً للحديث عن الشرق وأسراره، وكيفية فهم الشرقيين، تفسير بساطتهم أحياناً، وغموضهم في أحيان أخرى، دراسة ردود أفعالهم، طباعهم الغريبة، تفسير سلوكهم وتصرفاتهم، حتى درجة اهتمامه بالشرق جعلته يذهب لوصف الحيوانات الشرقية على لسان "بيتر" بأنها: كسولة، بليدة، بطيئة الحركة، وعديمة الاستجابة. يقف الحمار ساعات طويلة في مكانه تحت الشمس المحرقة لا يتحرك. أما القطط والكلاب وغيرها من الحيوانات فإنها لا تستجيب مطلقاً لدعوة الأكل بل تفضل الأماكن الرطبة وتجلس وتنام فيها ساعات طويلة معرضة نفسها للأذى والمخاطر من دون أية إمكانية لمقاومة ذلك، وتنشط هذه الحيوانات في الليل تماماً كالإنسان.

في مراحل معينة من الرواية نجد أن هناك غرقاً في التفاصيل التي كان من الممكن الاستغناء عنها، ويمكن تفسير ذلك بسبب المدة الطويلة التي استغرقتها كتابة الرواية (حوالي خمس سنوات)، لكن ذلك لا يقلل من أهمية الفكرة الأساسية للرواية، فيبدو أن منيف قد استطاع أن يجعل منها مختبراً استعرض فيه قدراته في تقديم عمل يمكن تصنيفه بأنه روائي ويمكن اعتباره غير ذلك، فمسار الأحداث لا يشبه الروايات، حتى الشخصيات تملك مساحة من الحياد تجعل القارئ يتجنب التعلق ببعضها أو كره بعضها الآخر، ويمكن وصفها بالرواية المحايدة التي لا تمتلك هوية الرواية التقليدية بعد أن تضاءل السرد فيها لصالح التوثيق والحدث السياسي.

قصيدة العدد: الطارق المنذور/ ناجي علوش

(1)

وصلنا عند سورك

كانت الأشواق طافرة

وكان الحزن دفاقاً

وقلنا:

هاهنا نقف

فهل نقفُ؟

أسائل وجهك المروي من

رمل القفار، ومن شمس البحار

ومن لهيب الشوق والشَّجَن

أسائل وجهك الجبلي

هل نقفُ ؟

(2)

وتَبسِمُ مقلتاكِ

هنيهةً

ويضيئ وجهك، ثم

لا تتوهج الكلمات

فنصمت لحظةً

ونسير

مقتربين

مبتعدين

والأحزان لا تبرح

(3)

وقفنا عند سورك

كانت الأشواق طافرة

وكان الحزن دفاقاً

فما سنقول للأشواق والأحزان؟

وكيفَ يُهدهَدَ الشَغَفُ؟

ومن ذا يمنع الأشواق والأحزان أن تَطْفَح

فتسقط بيننا السُجُفُ

(4)

وما بيني وبينك

خطوة أو خطوتان

وتسقط الأسوار

ويدفقُ نبعنا السري

سلسالاً فنغترف

فهل نَطْمَح

وهل نَقِفُ؟

وهل يبقى غريب الدار منتظراً على الأسوار؟

أسائل قلبك الوهاج والوجه الذي أدمته ريح

البحر، أسقته الرمال نصاعة النيران

هل أقف؟

وهل أبقى على الأسوار؟

(5)

وما بيني وبينك

أنت يا " بيرزيت"

جرحٌ لا يهدهده الرحيل

ولا تنسيه لي دوّامة الأسفار

وما بيني وبينك

سوف يبقى في دمي

ويظل في

الأعماق ديواناً من الأسرار

وإن حملتني الأخطار

إلى التيه الذي يُعمي

أو البحر الذي يُصمي

وخلاني على درب الجوى أهلي

ولم يتذكر الخلان.....

وما بيني وبينك

دائماً وطني

فهل أنساك " يا بيرزيت"

وهل أقف؟

معاذ الجرح إن الجرح لا يسمح..

(6)

وما بيني وبينك

أنت يا مدني...

التي تمتد من حلب إلى تطوان

و من يافا إلى عدن

أواصر لا تخون وخافق سيظل بالأشواق خفاقاُ

وأشواق تؤرقني

وما بيني وبينك

خطوة أو خطوتان

وتسقط الأسوار

فهل أيامنا تَسْمَح ؟

أتيتك طارقاً

فوجدتُ في أبوابك التجار والغلمان

فرحت أجول مقهوراً ومكسوراً

وأبحث عن مفاتيح الهوى في النار والأحزان

وراودت الحرائق عن وجوه أحبتي وعيون إخوتي الذين

تركتهم جرحى، وعن أمي التي ماتت ولم ترني

فلم أجد السبيل

إلى عيون الأهل والخلان

فهل أنساك يا بيرزيت

وهل أنساك يا مُدَني

التي تمتد من يافا إلى تطوان
ومن عكا إلى ناقورة الشَحَنِ

(7)
فماذا يمنع الأبواب أن تفتح
وماذا يمنع الأحباب أن يصلوا...
ومن ذا يصنع الأسوار والأبواب والجدران
ويجعلنا على الأبواب منذورين
للأشواق منذورين
للحسرات منذورين
نستجدي الوصول
ونعبر الوديان والقمم المخيفة والشَّعاب
فتخلف السبل ...
ومن ذا يمنع الأبواب أن تفتح
ليدخل فارس الأحزان...!

(8)
أما زالت طريق القدس سالكة
على الأغراب،
مغلقة على الأحباب
والأحباب منذورون للحسرات
والرصد الذي يمتد بين الماء والصحراء
منشوراً على الأرجاء
والأرجاء من وطني
تعج تلج بالفقراء
والفقراء يختنقون

والرصد الذي يمتد بين الأرض والجوزاء

لا يبقى ولا يبرح

أما زالت طريق القدس يا تطوان

مغلقة على صنعاء

والشهباء

والزوراء

موصدة على الطرق الفسيحة في ربى وطني

أما زالت دروبك أنت يا مدني

التي تمتد من حَلَبٍ إلى تطوان

و من يافا إلى عَدَنِ

محرمة على الأحباب

والأحباب عند السور منذورونَ

والأبواب موصدة

وحراس المداخل يرطنون

وأنت يا وطني...

(9)

وقفنا عند سورك

كانت الأبواب موصدة

وكان الشوق دفاقاً

وصحنا أيها الأبواب والأسوار والقضبان

هو الطوفان

وصحنا

أيها الأصحاب والأحباب والخلان

هو الطوفان

فلتفضح

تباريح الهوى الأسرار

هو الطوفان

فلتطفح

عيون الوجد والأحزان

هو الطوفان

فلتَسْرَح

عصافير الهوى العربي في وطني

(10)

وقفنا عند سورك

كل ليلتنا

ولم نبرح

وقدمنا ثلاث نذور

وما زلنا على الباب المسند نحشد الأنظار

فهل نَطْمَح ؟

بأن تتساقط الأحجار

وأن يتحاضن الأحباب فوق السور

سيبقى الطارق المنذور

على باب الهوى العربي

منتظراً

ومشتاقاً

وتواقاً ومشتعلاً بآمال الأسى المقهور

إلى أن تسقط الأحجار

وتبقى للقصائد ذكريات السور

عن خافق يتلوى شوقاً، عن عين تطفر دمعاً، وعن عشقٍ، كتب ناجي علوش قصيدته "الطارق المنذور" التي تحكي قصة وطن مزقت أوصاله الأسوار، لكنه يأبى إلا أن يكون وطناً كبيراً لكل أبنائه من حلب إلى تطوان، ومن يافا إلى عدن، ولا ننسى بيرزيت طبعاً، التي أتى منها الشاعر، بوابة عبور الوجدان إلى مدن الوطن الكبير، فهل من عودة، وهل من وحدة، وهل من تحرير؟ لا مناص، تجيبنا القصيدة، وفي القلب إيمان لا يتزعزع.

رسوم العدد: اسمه يحيى

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 96
01 كانون أول 2024

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي